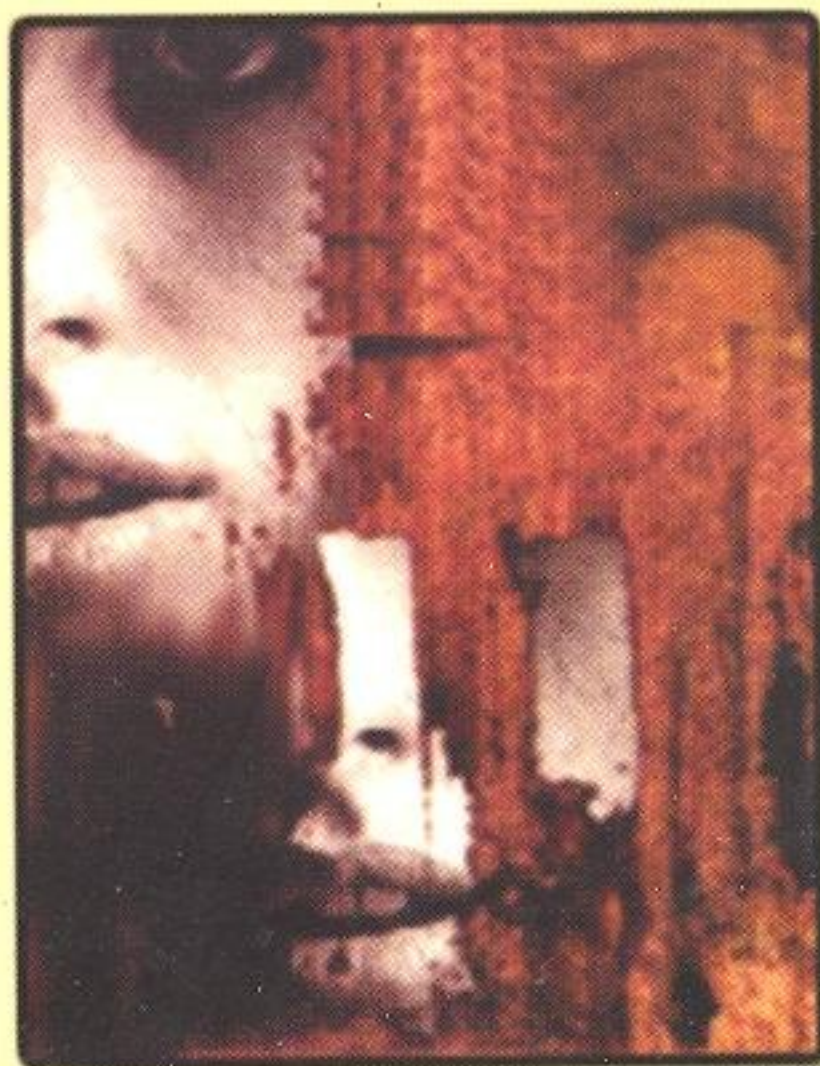


د. عيسى برهومة

# اللغة والجنس

حضريات لغوية في الذكورة والأنوثة



# اللغة والجنس

حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة

د. عيسى برهومة



2002

رقم التصنيف: 410

المؤلف ومن هو في حكمه: الدكتور عيسى برهومة  
عنوان الكتاب: اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة  
الموضوع الرئيسي: 1- اللغة العربية  
2- قواعد اللغة

رقم الإيداع: 2002/8/2057

بيانات النشر: عمان: دار الشروق

• تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل المكتبة الوطنية.

(ردمك) ISBN 9957-00-209-0

- اللغة والجنس: حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة
- الدكتور عيسى برهومة
- الطبعة العربية الأولى: الإصدار الأول، 2002.
- جميع الحقوق محفوظة.



دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: (9618190/4618191/4624321) فاكس: 4610065

ص.ب: 926463 للرمز البريدي: 11110 عمان-الأردن

دار الشروق للنشر والتوزيع

رام الله: المنارة- شارع المنارة- مركز عقل التجاري هاتف 02/2961614

نابلس: جامعة النجاح- هاتف 09/2398862

غزة: الرمال الجنوبي قرب جامعة الأزهر هاتف : 07/2847003

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage system, without the prior permission in writing of the publisher.

■ لوحة الغلاف للفنان: زهير شعوني.

■ التصميم والإخراج الداخلي وتصميم الغلاف وفرز الأنوان والأفلام:

دائرة الإنتاج/ دار الشروق للنشر والتوزيع

هاتف: 4618190/1 فاكس: 4610065 / ص.ب: 926463 عمان (11110) الأردن

E-mail: shorokjo@nol.com.jo

## المحتويات

7	- تصدير
9	- المقدمة
13	- الباب الأول: أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي
15	- اللغة في المجتمع
30	- تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي
45	- الباب الثاني: نظرة اللغة إلى الجنس
47	- تصنيف الجنس في اللغة
71	- الثقافة، اللغة، التحيز
93	- النحو والتحيز
102	- الدلالة والتحيز
106	- التحيز في المخيال الشعبي
113	- الباب الثالث: الخصائص اللغوية للجنسين
121	- الخصائص الصوتية والنطقية
126	- الخصائص النحوية والصرفية
130	- الخصائص الدلالية
133	- الخصائص الأسلوبية
141	- السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين
149	- الخاتمة
153	- الملاحق
179	- المصادر والمراجع



## تصديـر

بقلم الدكتور نهاد موسى  
أستاذ العربية في الجامعة الأردنية

اللغة مرآة المجتمع، والمرأة نصف المجتمع، فهل كانت اللغة مرآة للمرأة؟ وهل أنصف المجتمع نصّفه؟

اللغة مرآة، والمجتمع كيان إنساني متقل بالإرث الثقافي وضرورة البنى الفوقية كالاقتصاد والتشريع.

قد تبدو اللغة محايدة إذ تجعل (الجئن) مذكراً وتجعل (الشجاعة) مؤنثاً، كما تجعل (السفاهة) مؤنثاً و (الحلم) مذكراً.

واللغة نظام من العلاقات يقصد إلى الفرق والإبانة كما في تمييز (الظريف) عن (الظريفة) و (الكريم) عن (الكريمة) بالتاء، ولكن المجتمع قد يجعل (معاوية) المذكر على لفظ المؤنث، ويجعل (سعاد) المؤنث حقيقة على غير صيغة المؤنث فتتمثل اللغة لذلك. فإذا اختصّ اللفظ بالمؤنث جاء دون علامة التأنيث كما في (كاعب) و(ناهد) لأن مقتضى اللغة الإبانة في الدلالة على المقاصد.

وتقول اللغة كما يرى سيبويه: جاء الرجال والنساء قبلاً، فلا يجعل للرجال منزلة يكونون بها أولى من النساء، ولكن المجتمع يرى في الترتيب أفضلية المقدم في اللفظ وفقاً لعرف خارج عن نظام اللغة.

وإذا خاطبت اللغة جمعاً حاشداً من النساء فيه رجل واحد بضمير جماعة المذكر فاستعلن فيها تحيز واضح أمكنتنا اللغة نفسها -إن شئنا- أن نعتبر عن الزوجين الذكر والأنثى بمثل قول امرئ القيس فنقول: قفا نبك! فنلوذ

بخطاب المثني نوجهه توجيهاً يرفع التحيز رعاية لمشاعر الأغلبية في مثل هذا الموقف.

وإذا رسم المجتمع للمذكر دوراً مركزياً ليقرأ ويسافر ويعمل وجعل المؤنث على الهامش (تطبخ) فإن اللغة لن تأتي علينا أن نوزع الأدوار بالحق والإنصاف فنقول (تقرأ) كما نقول (يقرأ) ونقول (تعمل) كما نقول (يعمل).

اللغة مؤنثة، والثقافة مؤنثة، والمجتمع مذكر، فأيهما محايد؟ وأيها متحيز؟ وهل من سبيل إلى التدخل في اللغة لنفي التحيز الخارج عن مقتضى الإبانة؟ وهل يكون التدخل في النظام اللغوي وحده تدبيراً كافياً لنفي التحيز الثقافي أو الاجتماعي؟

في هذه القضية الشائكة حقاً يأتي هذا الكتاب رحلة شائقة في عوالم الاجتماع الإنساني عبر الزمان والمكان يتحرى صورة المرأة في تلك العوالم ولغاتها وثقافتها ويقف باعتماد خاص إلى صورة المرأة في العربية وثقافتها. إن هذا كتاب رائد في حقل يتني ما يزال في الدراسات العربية بكرة. وهو يجري، في صورة التعبير، ببيان يليق به من الألق والأناقة، وينطلق، في مضمونه، بجرأة حذرة متوازنة الخطى على هذا الدرب السديمي الذي تتدافع فيه الرؤى وتتقاطع المثني.

## مُتَلَمِّمًا

في البدء كانت الكلمة، وفي النهاية تكون الكلمة، وفيما بين البدء والخاتمة، ظل الإنسان يترقى إلى وسيلة توفر له التخاطب والتواصل لتحقيق ماهية الاجتماع البشري، فكانت اللغة ضالته، فشغل بها وأودعها عنايته ووكدته، وعدّ معرفة كنهها جزءاً من سعيه لمعرفة ما التبس عليه من أسرار الوجود، فغذت موضوعاً أسيلاً من موضوعات الفلسفة الإنسانية.

لم تكن اللغة منذ تخلقها من صنيع فرد، إنما مواضعة جماعية يتواطأ على تمثيلها الأفراد، فهي ظاهرة اجتماعية أودعها مراس الكلام في الجمهور، تتبلر في تلافيف المجتمع. وبالتالي تغدو المعطيات الاجتماعية الخلفية التي يتعين الرجوع إليها لتحديد ما نرومه من الكلام، وتمييز الفئات الاجتماعية التي توظف السلوك اللغوي في مناسبات الحياة المترابطة. إذ إن هذا السلوك مطية الأفراد في حياتهم العامة والخاصة، وهو المرآة الكاشفة عن هوية الأفراد وبيئاتهم وفئاتهم المختلفة.

والفرد في ممارسة السلوك اللغوي مشروط بالنظام الاجتماعي الذي يحدد الاختيارات اللغوية في عملية التفاعل الاجتماعي، وبالتالي فإن تلك الشروط الاجتماعية والثقافية تحدد معايير السلوك اللغوي ونماجه الاجتماعية المقبولة.

ترجع صلتني بمسألة اللغة والجنس إلى بضعة سنوات خلت، فقد استوقفتني الأسفار التي انبرت لبحث التفكير والتأنيث، إذ حظيت هذه المسألة بما لم تحظ به كثير من مسائل اللغة تقريراً وتصنيفاً. ولعل هذه الوفرة في درس المسألة قديماً وحديثاً سكب في النفس رغبة للوقوف إلى أمرات المسألة.

ظلت مسألة اللغة والجنس تأخذ بنيات فكري، فرغبت في أن أوصل بحث المسألة من وجهة اجتماعية، ولا سيما بعد أن اطلعت على مصنفات في



علم اللغة الاجتماعي، فاستقرّ في النفس هاجس أن ألجّ إلى دراسة "اللغة والجنس في السياق الاجتماعي"، ومما قوى العزم في أنّ مسألة اللغة والجنس تستعّين في فضاء التثاقف والبحث في الفكر النقدي المعاصر، بعد نهوض الحركات النسوية في العالم الحديث، فراحت هذه الحركات ومناصروها من منظمات حقوق الإنسان تدعو إلى ترسيم علاقات عادلة بين الأعراق والفئات المستثناة من القوة Powerless كالعبيد، والنساء، والأطفال. واستشعرت الحركات النسوية ومنظمات حقوق الإنسان أنّ ثمة تحققات لغوية تتطوي على قدر من التحيز للذكور، واختزال للحضور الأنثوي، فانبهرت لتسليط الضوء على أشكال التحيز، وسبل تعديله. وتطلّعت إلى لغة محايدة تمثّل الجنسين بنصفّة.

إنّ هذا الفيض من العناية بموضوع اللغة والجنس من أنظار معرفية متنوّعة، دفعت بي إلى استقراء المسألة في العربية، لأنّ جُلّ ما كتب في السلوك اللغوي واختلاف الجنسين كان بلغات أجنبية، أو طبّق على لغات أجنبية، ولم تحظّ العربية بدراسة مستقلة للمسألة من وجهة اجتماعية فيما انتهت إليه من بحث واستطلاع.

صدرت في دراستي هذه عن حزمة من المعطيات، نحو: الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، وحقيقة الفروق بين الجنسين، والتحقّق من التحيز اللغوي في العربية، ودراسة الخصائص اللغوية بين الجنسين، والعوامل التي تسهم في تشكيلها.

ورمت من هذه الدراسة استشفاف العلاقة بين اللغة والمجتمع، واختبار المقولات التي تعاورت موضوع اللغة والجنس، وتوظيف معطياتها في دراسة العربية. أنست في هذا البحث منهجاً لغوياً اجتماعياً؛ لاستجلاء السياق الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة، وتلمّس العلاقة المستكنة في اللغة والتنظيم الاجتماعي.

وقد أمحصتُ وسعي لأقيم البحث على طريقة مستقيمة، فأفدتُ من معطيات هذا العلم الحديث بلطف العناية، وسخرتُ كثيراً من هذه الأنظار لاكتناه مشكلة البحث مقارنةً وتقريراً.

ولقد حرصتُ على أن أجمع إلى البحوث والدراسات التي أُجريت على اللغات الأخرى؛ لظني أن هذه الإشراقات تُفضي إلى تراخُب الرؤى، علاوة على أنها تُغني الدرس اللغوي في العربية؛ لنزرة التصانيف التي تواردت على بحث هذا المُشكل.

ويستشعرُ مما تمَّ عرضه من دراسات في مسألة "اللغة والجنس"، أن هذا المُشكل يعتوره أضرب من العلوم والفنون، كل يأخذ منه بطرف في تناوله ومداولته. وقد ارتأيتُ أن أنتحي وجهةً تتقاطع مع هذه الدراسات في بعض مسالكها، وتتهج شريعةً مباينة في دروب أخرى.

ولأنَّ المسألة التي أحاورها قضية جوهرية تمتدُّ في الزمان والمكان؛ تعين هذا العرض الذي يتجاوز الفواصل الزمانية والمكانية، لأنَّ المسألة التي نعرضُ لها ضاربة في أطناب الماضي، وممتدة في أفاق الحاضر؛ ولعل ذلك أفضى بي إلى المراوحة بين المتقادم والحادث عرضاً، وتحليلاً، ومقاربة. فحرصتُ في هذه الدراسة على تنوع المصادر والمراجع التي تمدُّ خيوطها إلى زُمرة من المعارف، وتستدعي أنظار القدماء والمحدثين في بحث المسألة. توزعت الدراسة على ثلاثة أبواب:

- حاولتُ في الباب الأول أن أستجلي مكانة اللغة في المجتمع، وأن أتلُمس مسوغاً منهجياً للعلاقة المتحصّلة بين العامل الاجتماعي والسلوك اللغوي.
- وفرغتُ في ذلك إلى دراسة البنى الاجتماعية وأهميتها في تشكيل نواتها، وعرضتُ لأنظار المشتغلين في توصيف اللغة والمجتمع.

- وفي الفصل الثاني من هذا الباب ألمحتُ إلى التجليات الاجتماعية في السلوك اللغوي للجنسين؛ لاستتبار التفاعل اللغوي مع العوامل الخارجية الراشحة في الاستعمال.

• في الباب الثاني عرضتُ لظرة اللغة إلى الجنس، فعابنتُ المسألة في النظام اللغوي، لاستجلاء تصنيف الجنس في العربية، وهل كان هذا التصنيف مُتسقاً والجنس الطبيعي؟ وتتبعُ موقف الباحثين في هذه المسألة التي أشككتُ عليهم قديماً وحديثاً.

ولم يكن بدُّ من أن أتوقف عند مسألة الثقافة واللغة والتحيز؛ إذ إنَّ الثقافة تُعدُّ المرأة الصانقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من قيم، ونُظم، وعادات، وتقاليد، واتجاهات.

ويؤثر التطور الثقافي والحضاري لأي أمة تأثيراً بالغاً في مدلولات الألفاظ، إذ تنتحي بها وجهة معينة قد تبتعد قليلاً أو كثيراً عن طفولتها الأولى.

وتوجَّهتُ لاستشفاف الصلة النازمة بين الثقافة واللغة. وارتباط ذلك بالتحيز عبْرَ تحققات اللغة، كالنحو، والدلالة، والمتعين الشفاهي.

• ثم تناولتُ في الباب الثالث الخصائص اللغوية للجنسين، فعرضتُ لمستويات اللغة؛ لاستقراء الخصائص اللغوية، وقد صنرتُ في استصفاء هذه الخصائص عن الفرضيات التي أودعها الدارسون والدارسات في موضوع البحث.

وأقفلتُ البحث بزُمرَة من الأنظار مستصفاة.

وشقَّعتُ البحث بلحق انطوى على استقراء الصفات المحمودة والمذمومة للجنسين، في إضمامة من معجمات المعاني.

وآمل من بعد ذلك أن يكون البحث مساهمة في الدرس اللغوي الاجتماعي، ودافعاً لدراسات تتوسل اللغة لاكتناء السياق الاجتماعي والثقافي.

## الباب الأول

# أثر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي

- الفصل الأول : اللغة في المجتمع.

- الفصل الثاني : تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين.



## اللغة في المجتمع:

الإنسان مدني بالطبع، يرتبط بالجماعة ليقيم أودَّ حياته، ويمنح عيشه السيرورة والبقاء، لذا تَطَّلَع إلى إقامة العلاقات مع الآخرين، وتفاعل مع محيطه لتحقيق غاية الاجتماع البشري، فليس بمكنة الفرد وحده أن يحقق مفهوم المجتمع بالمتعين التواصلي والتعاوني.

فما يَرَّح الأفراد يفكرون في وسيلة لتحقيق التواصل بينهم، وبذلوا الوَكْدَ لاجتراح أسلوب يتخاطبون عبره، فكانت اللغة ضالته في هذا البحث الشاق.

لذا علل (مسكويه) اللجوء إلى اللغة بالسعي لتحقيق الاجتماع الإنساني؛ لأنَّ الفرد وحده عاجز عن توفير حاجاته:

"إنَّ السبب الذي احتيج من أجله إلى الكلام أنَّ الإنسان الواحد لما كان غير مكثف بنفسه في حياته، ولا يَبَالِغ حاجاته في تنمية بقاء منته المعلومه وزمانه المقتر المقسوم، احتاج إلى استدعاء ضروراته في مادة بقاءه من غيره، ووجب شريطة العدل أن يعطي غيره عوض ما استدعاه منه بالمعاونة..."<sup>1</sup>

فللغة أثرها في مناشط الحياة المتنوعة، وهي وليدة حاجات الفرد والجماعة، ولعل هذا ما دعا أصحاب نظرية (Yo-He-Ho) إلى تفسير نشأة اللغة بأنها: "أصوات جماعية صدرت عن مجموعة من الناس في أثناء قيامهم بعمل شاق يحتاج إلى تعاون على أدائه، وأكدوا أنَّ اللغة نشأت حين اجتمع الإنسان مع غيره، ولم تنشأ وهو منعزل عن غيره من البشر"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> مسكويه: المراسل والشواهد، ص 6.

<sup>2</sup> إبراهيم أبيس: دلالة الألفاظ، ص 26.

ومن المتعارف عليه بين دارسي العلوم الاجتماعية أن كثيراً من الأحداث الاجتماعية تبدأ فردية ثم لا تلبث أن تشيع بين عدد من الأفراد، ثم ينسج نطاقها فتتخذ صفة الجماعية.

فنحن لا نبتكر شيئاً - كما ذكر (بيار أشار) - "حين نعترف بأن النشاط الإنساني يتجلى في الإطار الاجتماعي"<sup>1</sup>.

لم تنشأ اللغة بتخطيط مفرد، وإنما بمواضعة اجتماعية تعم على الأفراد، فلا فكّك من إقصاء العامل الاجتماعي في إنتاج اللغة وفهم ماهيتها، فهي ربيعة المجتمع، وبين ظهرانیه تخلّقت كما قرّر فندريس:

"في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم. وتنشأ من احتكاك بعض الأشخاص الذين يملكون أعضاء الحواس، ويستعملون في علاقاتهم الوسائل التي وضعتها الطبيعة تحت تصرفهم.

فاللغة بمعناها الأوفى تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، ولهذا صارت من أقوى العزى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوتها إلى وجود احتشاد اجتماعي"<sup>2</sup>.

وعلى الرغم من أن اللغة ظاهرة اجتماعية، إلا أن بعض اللغويين أنكروا هذا الارتباط بين اللغة والمجتمع، لذا ينبغي أن تُدرّس اللغة في واقعها الذهني، ومن هؤلاء اللغويين هيرمان بول (Hermann Paul) الذي يرى "أن اللغة الجماعية ليست إلا خليطاً من الكلام الفردي الذي لا يؤخذ به. واللسان هو مسار خاص يتطور عند كل فرد، وبالتالي ليست هناك فائدة من دراسة

<sup>1</sup> بيار أشار: سوسولوجيا اللغة، ص 13.

<sup>2</sup> فندريس: اللغة، ص 35.

التغير اللغوي اجتماعياً، لأن هذا التغير يتطور بشكل مستقل ومختلف باختلاف الأفراد، ويخلص من ذلك أن الفرد يمكن أن يمثل الجماعة ...<sup>1</sup> وينضم إلى مذهب (لا اجتماعية اللغة) نفر من اللغويين، نحو: سويت (Sweet) ومدرسة براغ، وترويتسكوي (Troubetzkoy)، ومارتينييه (Martinet)، وعالم اللغة الأمريكي بلومفيلد (Bloomfield) الذي أقام نظريته في اللغة على المثير والاستجابة الكامنين في الفرد وليس في الجماعة اللغوية.

كما أن تشومسكي (Chomsky) أهمل العامل الاجتماعي في نظريته اللغوية (التفريعية - التحويلية) وافترض وجود سامع مثالي غير متأثر بالتنوعات الكلامية في المجتمع.

ولكن هذه الأنظار اللغوية لم تلقَ ارتياحاً لدى اللغويين الذين يؤكدون اجتماعية اللغة، ويرون أن تنحية الأثر الاجتماعي في دراسة اللغة يُعدّ انحرافاً عن الدراسة العلمية للغة.

انتقد مييه (Meillet) مفاهيم دي سوسير اللغوية، ونبهت بأنها ناقصة ومجتزأة؛ لأنها لا ترى في اللغة إلا واقعاً ذهنياً غير متأثر بالعناصر الاجتماعية التي لا يمكن دراسة أي لغة بمعزل عنها ...<sup>2</sup>

واعترض هندسون (Hudson) على المدرسة التفريعية - التحويلية؛ لرؤيتها المجردة للغة، ورأى أن "أي محاولة لتفسير الظواهر اللغوية المختلفة دون الرجوع إلى المجتمع - وذلك ما قامت به المدرسة التفريعية التحويلية بفروعها كافة- إنما هي محاولة عبثية تتطوي على مثالية منطرفة، ولن تؤدي

<sup>1</sup> خلال طعنة: علم اللغة الاجتماعي كم الأستنية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع(7، 8)، ص 112.

<sup>2</sup> See: 'The Main Trends in modern linguistics English by Maurice Leroy (Translation. By G.price). p.p 93-99.



هذه المحاولة إلا إلى إجداب الدراسات اللغوية، فاللغة ملوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول<sup>1</sup>.

وتوجّه عالم اجتماع اللغة هايمز (Hymes) بالنقد إلى البحث اللغوي الحديث؛ لإهماله المعطيات الاجتماعية في اللغة، "ورمى علم اللغة بالتصير لتركيزه على الشكل اللغوي مجرداً، أو منفصلاً عن العناصر المؤثرة فيه، مع أنّ صلة اللغة بالمجتمع وثيقة، وتأثيرها بمعطياته ومكوناته أمور لا جدال فيها"<sup>2</sup>.

ومن أنصار المدرسة الاجتماعية جاردنر (Gardener) الذي أكدّ العنصر الاجتماعي في اللغة "فمن العيب أن نقول: إنّ هدف اللغة هو التعبير عن الفكر، إذ ما الداعي الذي يوجب على الناس التحول هنا وهناك معبرين عن أفكارهم؟ إنّ مجرد التفكير يكفي لقضاء حاجات الناس العقلية الصرفة.

وإذا كان الغرض من استعمال اللغة إرضاء رغبات من النوع الذي يمكنهم الحصول عليه دون مساعدة خارجية، فإنه في قدرتهم استعمال جوارحهم وقواهم الجسمية، وإذا كانت عواطفهم تستدعي التنفيس الصوتي فيمكنهم الصياح، أو الضحك، أو التأوه.

ولكن اللغة بتعاملها المتعمد والمقصود مع الأشياء لا تُفسّر بكل تأكيد على أنها تعبير عن الذات، بل يمكن تفسيرها وتوضيحها بطريق الحقيقة الثابتة التي تفيد أنّ النوع الإنساني مولع بالاجتماع والمصاحبة ويعتمد في حياته على التعاون"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> هدمون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عيلا، ص7.

<sup>2</sup> معطفي لطفي: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص45.

<sup>3</sup> كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص31.

إنَّ اللغة تتجاوز وظيفة التفكير المجرد، والتعبير عما يعتمل في أقطار النفس من خَطرات البال، لتشمل أيضاً استجابة المتلقين للغة، والظروف الزمانية والمكانية للحدث الكلامي.

إنها تمنح شعوراً بالانتماء إلى مجتمع المتحدثين بها، وتُعين الفرد على التوافق الاجتماعي والتكيف النفسي مع الجماعة والمجتمع، وهي جسرنا لإقامة العلاقات الاجتماعية وتطويرها. وقد أطلق الأنثروبولوجي (مالينوفسكي) على هذه الوظيفة "التواصل الودي بين الناس" "Phatic Communion".<sup>1</sup>

وإذا كانت الظاهرة الاجتماعية تُقرَّر أن خروج أي فرد على أي نظام فيها يُعرضه للجزاءات الاجتماعية، أو العقوبات المادية والأدبية للحيلولة بينه وبين ما يهدف إليه في التمرد عليه، فإنَّ اللغة هي أبرز هذه الظواهر الاجتماعية التي تنعكس عليها ردود الفعل الاجتماعية، فإذا حاول فرد التحليق خارج المنظومة اللغوية للجماعة، فهو مُعرض للانتقاد والسخرية.

"قاصد اللغة عامة يعود إلى الطبيعة الاجتماعية للإنسان، وترتبط وظيفة اللغة والتغيرات التي تطرأ عليها ارتباطاً وثيقاً بالبنى الاجتماعية من جهة، وديناميكية العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات والمجتمع من جهة أخرى ..."<sup>2</sup>

يمتد النسيج اللغوي في الثقافة ومناشط الحياة للجماعات، فمن الصعب استجلاء ماهية السلوك إلا بالعود إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي.

<sup>1</sup> ينظر، عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، ص 21.

<sup>2</sup> توماس لوكلان: علم اجتماع اللغة، ت. أبو بكر أحمد باقور، ص 11.

وينظر أيضاً، حوريت غازمادي: فلسفة الاجتماعية، تعريب خليل أحمد خليل، ص 28.

وكلما توغل الفرد في محيطه الاجتماعي شغلت اللغة مكانة متزايدة، لا في حياته الاجتماعية وحسب، بل في سلوكه وتفكيره وأحاسيسه أيضاً. لذا يجب أن تُخرَس اللغة ونواميسها في إطار العلاقة الوثيقة القائمة بينها وبين تاريخ المجتمع؛ لأن اللغة - أي لغة - نَعْدُ اليوم حصيلة اجتماعية ونتاجاً للتاريخ الاجتماعي.

ويرى (ستالين) أن اللغة: "إحدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها، فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله، وليس ثمة إمكان لوجود أي لغة خارج نطاق المجتمع، فلا نستطيع فهم اللغة وقوانين تطورها إلا إذا تَوَجَّهنا لدراستها من حيث صلتها الوثيقة بتاريخ المجتمع أي بتاريخ الشعب الذي تَنَسَّب إليه اللغة؛ موضوع الدراسة الذي أبدعها، وتحيا على لسان أبنائه ..."<sup>1</sup>

يتضمن المعنى الاجتماعي الثقافي Social - Cultural Meaning، أو ما يسمى بالمعنى السياقي Contextual Meaning محتويات المعنى للكلام أو التعبير، ويقصد به مغزى الكلمات ضمن الجملة في موقف معين، أو في محيط اجتماعي معين.

إن هذا المعنى يُقْتَبَس من الكلام المُسْتَعْمَل في الحياة اليومية الذي يُقَسَّر في مجتمع إنساني معين، كما أن هذا المعنى هو أكثر عرضة للتغيير والتبديل عبر التاريخ من أي معنى آخر في اللغة.

" لعل المعنى الاجتماعي - الثقافي يختلف قليلاً أو كثيراً من محيط إلى آخر، ومن موقف إلى آخر، ومن الجلي أن هذا المعنى هو ذو أهمية في فهم

<sup>1</sup> دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ت. ميشال عاصي، ص 7.

المعنى وإدراكه للكلمة أو التعبير؛ لأنّ المعنى الكلي لا يتوقف على المعنى اللغوي وحسب، وإنما يقترن بالمعنى الثقافي والاجتماعي ...<sup>1</sup>.

ويعدّ جورج ميد (George Mead) اللغة ركيزة أساسية لعملية التفاعل الاجتماعي التي يتعلّم من خلالها اتجاهات الآخرين وتوقعاتهم العامة، فاللغة كما يتمثلها: "تضع الوسائل الملائمة، والرموز المشتركة التي بوساطتها يبلغ الطفل عقله البشري، فالطفل طبقاً لرأي (ميد) يتعلّم التفكير، ويشعر بالطريقة التي يؤديها الآخرون ..."<sup>2</sup>.

ولا يقتصر عمل اللغة على العلاقة الطبيعية التي بوساطتها نميز بين جماعات المتكلمين، بل يتعدى هذه الوظيفة تحديد الطبقات الاجتماعية، والمنزلة التي يشغلها الأفراد أو الطبقة التي يتطلعون إلى الانتماء إليها.

فهي بوصفها نظاماً اجتماعياً تتحوّ منحياً كثيرة، وتظهر بأشكال متنوعة، فكل فئة من الناس أسلوبها الخاص في استعمال اللغة حسب طبقتهم الاجتماعية، فلرجال ألفاظ معينة تشيع في فضائهم لا تعرفها النساء، ولا يتلفظن بها أبداً.

وللأطفال كلماتهم وعبارتهم التي تجعل لهم عالماً اجتماعياً متميزاً، وللشباب والكهول والشيوخ مثل هذه الألفاظ الخاصة التي تُعبّر عن مرحلة من مراحل العمر وتشبه العلامة الفارقة التي تميز هذه المرحلة ...<sup>3</sup>.

لذا فإنّ محتوى التعبير الشفوي يقتضي معرفة بتقاليد اللغة وأعرافها، وتقاليد التعبير وأسلوبه عند متكلميها، وطريقة تفكيرهم التي تنعكس على أسلوب التعبير الذي يستعمل لغاية المشاركة الوجدانية الاجتماعية، لأنّ

<sup>1</sup> صالح مهدي شريدة: العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العربي، م25، ص 318.

<sup>2</sup> Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching by, j.B. pride, p.5.

<sup>3</sup> وليد فصاب: الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفيصل، ع97، ص 74.

الجهل بتلك التقاليد يُنْضِي إلى أخطاء في الاستعمال الاجتماعي للغة، بل ربما أويقت كلمة صاحبها؛ لجهله تقاليد اللغة ودلالاتها.

احتفى اللغويون العرب بالمنحى الاجتماعي - الثقافي للغة، فربطوا الكلام بإطاره الاجتماعي، وأمعوا إلى أثر المقام في تشكيل المعنى، وقد صدروا في ذلك عن إدراك لهذا الحراك اللغوي الاجتماعي.

تحدث الجاحظ عن لغة الجوّاري والكواعب والشوَّاب<sup>1</sup>. وألمح إلى التنوعات اللغوية المتأثرة بالتنوعات الاجتماعية بقوله: "ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تزلق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة"<sup>2</sup>.

وأشار الجاحظ إلى تنوع الكلام بتنوع المتكلمين من حيث الثقافات والبيئة والجنس: "وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة، ويكون لفظه مُتخيراً فاحراً، ومعناه شريفاً كريماً، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي. وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه، أنه خراساني، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز"<sup>3</sup>.

وتنبه محمد سلام الجُمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء" إلى أثر المحيط الاجتماعي والبيئة في لتخير اللغوي حين تعرض إلى شعر عدي بن زيد، فقال: "كان يسكن الحيرة، ويُراكن الريف، فلان لسانه، وسهل منطقه..."<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الجاحظ: البيان والبيان، 146/1.

<sup>2</sup> الجاحظ: الجوارح، 368/3.

<sup>3</sup> الجاحظ: البيان والبيان، 69/1.

<sup>4</sup> ابن سلام الجُمحي: طبقات فحول الشعراء، ص 14.

والتفت اللغويون العرب إلى السياق حين تعرضوا للمقام، ذكر بشر ابن المعتمر في صحيفته أنه:

"ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات...".<sup>1</sup>

وتحدث ابن طباطبا عن الموقف، وعده أساساً لحسن الكلام وجودته:

" ولحسن الشعر وقبول الفهم إياه علة أخرى وهي موافقته للحال التي يعدّ معناه لها: كالمدح في حال المفاخرة، وحضور من يكبت بإنشاده من الأعداء، ومن يسرّ به من الأولياء. وكالهجاء في حال مباراة المهاجي، والخطّ منه حيث ينكى فيه استماعه له. وكالمراثي في حال جزع المصاب، وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه والتعزية عنه، وكالاعتذار والتصلّ من الذنب عند سلّ سخيمة المجني عليه، المعتذر إليه. وكالتحريض على القتال عند التقاء الأقران، وطلب المغالبة. وكالغزل والنسيب عند شكوى العاشق، واهتياج شوقه وحنينه إلى من يهواه".<sup>2</sup>

وتنتهت البلاغة العربية إلى أهمية الموقف عند تأليف الأسلوب، فنهض علم المعاني إلى مراعاة الموقف، واتساق الكلام مع مقتضى الحال. ويفترض علم المعاني أنّ أي تغيير في التشكيل اللغوي يؤدي تلقائياً إلى تغيير في معناه، فالعلاقة بين الشكل والمضمون لازمة وحتمية.

ولم يقتصر الاحتفاء بالمقام على البلاغيين بل التفت إليه اللغويون والنحاة أيضاً، فعلى الرغم من معيارية اللغويين العرب في تعديد اللغة إلا أنهم

<sup>1</sup> الملاحظ: فريمان والتبين، 138/1-139.

<sup>2</sup> ابن طباطبا: حيل الشعر، ص 54.

لم يغفلوا الأثر الاجتماعي في الحراك اللغوي، فقد تنبهوا إلى أثر البيئة حين جمعوا اللغة، وأوماً النحاة إلى الواجهة الاجتماعية في الدرس النحوي، فكثير من دروس النحو لا يمكن استيعابها وفهم خواصها التركيبية، إلا بربطها بمقاماتها الاجتماعية التي توظف فيها، نحو: درس النداء الذي يفترض في جوهره منادياً ومنادى، ولا يكون النداء في فراغ، إذ يقتضي الأمر وجود طرفيه، وملئمة حرف النداء للموقف الكلامي.

وإذا كانت (الاستغاثة) هي نداء من يخلص من شدة أو يُعين على دفعها، فإنها نمط خاص من النداء له عناصره التركيبية، وتقتضي إصغاء. وهذا يُجلب الوظيفة الاجتماعية لهذا الأسلوب، إذ لا ينادى إلا المُميز؛ لتعذر الإجابة من غير العاقل.

ويتعين مراعاة المقام الاجتماعي في الدرس النحوي حين نوظف "الإغراء والتحذير"، و"الحذف"، و"الاستفهام"، و"الإيجاب والطلب"، و"الندبة المقطوع"، وغيرها من دروس النحو؛ إذ لا يمكن استيعاب هذا التوظيف وفهم خواصه التركيبية إلا بربطه بمقاماته الاجتماعية التي تتحقق فيه، فاللغة تتشكل في أساليب متعددة تبعاً للموقف الذي تستعمل فيه.

وأومض بعض العلماء إلى التنوعات اللغوية للجنسين، ففي تعليق لأبي بكر الباقلاني على قول امرئ القيس:

لك الويلات إنك مُرْجلي

قال الباقلاني: "وهذا من كلام النساء".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الباقلاني: معجم القرآن، ص 81.

وحيث درس ابن جني أسلوب النوبة، ذكر أن "أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"<sup>1</sup>. ولم يُغفل ابن جني الواجهة الاجتماعية في منهجه، فاللغة - وفق تعريفه: "أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>2</sup>.

فهي ظاهرة اجتماعية تتطور تبعاً لحاجات المتكلمين وأغراضهم، فالمجتمع مجموعة من الناس تترايط من أجل غرض أو حاجات، واللغة وسيلتهم المضمونة في التواصل والخطاب.

ولعلنا نستشعر الأثر الاجتماعي في ظاهرة التدرج السني، فلأطفال حديثهم الخاص الذي يميزهم من غيرهم من البالغين، وكذا للنساء لغة لا يستخدمها الرجال، وهناك مجتمعات تستخدم فيها الطبقات طريقة في الكلام تميزها من غيرها.

فظاهرة التدرج السني، والتنوعات اللغوية تعكس أبعاداً متنوعة، كالأصل العرقي، أو الأصل الإقليمي، أو الاجتماعي، أو الجنسي ...

وعلى الرغم من أنه توجد لغات بعدد الأفراد، فكل سمته اللغوي الذي يميزه من الآخرين إلا أن هذه التنوعات بين الأفراد لا تُقيم قطيعة بين أعضاء الجماعة اللغوية، فهم يتواصلون من خلال الجوامع المشتركة التي تميز هذه الجماعة من غيرها.

فالسوك اللغوي والاجتماعي في حالة حراك واحتشاد دائمين، وهذا ما أيده ديتمار (Dittmar) إذ يرى: "أن السلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، وأن حالات الحياة المادية عامل مهم في هذه العلاقة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن جني: النعم في العربية، ص 12.

<sup>2</sup> ابن جني: الخصائص، 33/1.

<sup>3</sup> An Introduction to Sociolinguistics, by, Wardhaugh, P.12.



ومما يعضد هذه الوشائج بين اللغة والمجتمع، أن لكل مجتمع تقاليده الاجتماعية ومعتقداته الدينية التي يمارسها الأفراد في كثير من الأحيان عبر اللغة، فالقوانين الاجتماعية التي تمارس سطوتها على أعضاء الجماعة تُلقى بظلالها على السلوك اللغوي. "فلكل جماعة لغوية طرائقها في التحية، والتهنئة، والعزاء، واللقاء، والجلوس، والحفلات، والوداع، وممارسة الشعائر الدينية، وأي خروج عن هذه الأعراف يوقع الأفراد في الخراج والسخرية وقد يعرضهم للإهانة والعقوبة"<sup>1</sup>.

فهب أن إنساناً هنا عربياً بقوله: "عظم الله أجركم" إذن لتحول التهنئة بالفرح إلى فال شر يستهجنه السامع، على الرغم من أن العبارة تحمل معنى الدعاء، ولكن لم يراع صاحبها الموقف الاجتماعي في ذلك.

ولابد من وضوح الهدف في السياق، فقد نهدف من استعمال اللغة إلى إقناع الآخرين، أو إغضابهم، أو مجاملتهم، إلى غير ذلك من أهداف متنوعة تتساقط والعلاقات الاجتماعية.

فوظيفة اللغة البارزة وظيفة اجتماعية: "فالعبارات المختلفة المستخدمة للتحية، وتلك المستخدمة للتأديب عند مخاطبة الآخرين لها وظيفة اجتماعية أخرى، فهي في كثير من الحالات تدل على الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله كل من المتكلم والمخاطب على السواء كما تدل على العلاقة الاجتماعية بينهما"<sup>2</sup>.

إن مراعاة المقام الاجتماعي بلطف النظر يُكسب المتحدث القدرة على التأثير، ويوفر له شرطاً مهماً من شروط الخطاب، فقديمًا قالت العرب: لكل مقام مقال" وفي هذا إدراك لأهمية السياق، ومراعاة المقامات وفقاً للعوامل

<sup>1</sup> ينظر: علي عبد الواحد والي: اللغة والمجتمع، ص 3-8.

<sup>2</sup> تليف حرمان: أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص 210-211.

المرتبطة بالمقال: كالعمر، والجنس، والتكوين الثقافي والاجتماعي، وهذه ترتبط بشخصية المتكلم أو السامع.

وينبغي أن يُراعى في السياق عنصر الموضوع: فحين يستعمل الإنسان اللغة في موضوع ما، يقتضي ذلك الالتفات إلى الاتساق والمفردات المستعملة، فلا يُوظف مصطلحات علمية في سياق شخصي، أو حماسي. فالكلام - كما وصفه فيرث (J.R. Firth) - ليس ضرباً من الضوضاء يُلقى في فراغ، فمدار فهم الكلام والقدرة على تحليله، إنما يكون بالنظر إليه في إطار اجتماعي مُعَيَّن.

احتفى (فيرث) بالسياق فحدّد مفهومه للمعنى: "بأنه علاقة بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي، فمعاني تلك العناصر تتحدد وفقاً استعمالها في المواقف الاجتماعية المختلفة، فقد يكون لكلمة أو جملة ما معنى لا يلبث أن يتغير تبعاً للموقف الموظف فيه.

فالإنسان يتخاطب مع غيره ضمن مواقف اجتماعية متنوعة تُحدّد شكل الأسلوب الذي عليه أن يعتمد، ونوعية الكلمات التي عليه اختيارها، فثمة إطار اجتماعي تُستعمل اللغة ضمنه، فتتأثر بمعطياته، وتتكيف مع عناصره<sup>1</sup>.

وممن غنوا بالسياق عالم الإناسة مالينوفسكي (Malinowski) الذي أكد ضرورة دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي: فهذه المعطيات لا تتحدد اعتباطاً، فالكلمة تُستعمل كلما أمكن أن تؤدي عملاً، لا لوصف شيء أو ترجمة أفكار وحسب.

<sup>1</sup> معطى لطفى: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص 47.

"بحث (مالينوفسكي) وظيفة اللغة حين درس حياة السكان في "جزر تروبريان الغربية" من (غينيا الجديدة)، فلاحظ سلوك سكانها البدائي وعلاقة هذا السلوك بالاستعمالات اللغوية، وانتهى من بحثه بجملة من الملاحظات منها: أنه لا بد لدراسة اللغة في الجماعات البدائية من أن نمهد لها بدراسة أخرى هي دراسة النشاط العام، إذ إن اللغة في الواقع هي طريقة من طرق السلوك الإنساني في ظرف عملي خاص، وهي عامل من عوامل ربط الفرد بجماعته...<sup>1</sup>

إن حالة التفاعل بين اللغة والمجتمع تُوجب تأثيراً وتأثيراً بين أنثومي المعادلة، فاللغة نتاج الفعل الجمعي الذي هو جماع تفكير أفراد المجتمع وعقولهم.

وتأسيساً على هذه الوظيفة، وصف (مالينوفسكي) اللغة بالمرآة الصادقة التي تعكس صورة واضحة لما عليه أفراد المجتمع من ثقافة ونظم وعادات وتقاليد واتجاهات.

"أكد علماء اجتماع اللغة أن التطور الثقافي والحضاري لأي أمة يؤثر تأثيراً بالغاً في محلولات الألفاظ، حيث تتجه بها وجهة معينة قد تبتعد قليلاً، أو كثيراً عن أوضاعها الأولى تبعاً لدرجة التطور الثقافي"<sup>2</sup>.

ولعل أسلوب التضافيف بين اللغة والمجتمع أفضى بالدارسين إلى إعلان علم مستقل أطلق عليه "علم اللغة الاجتماعي" (Sociolinguistics)، شغل برصد اللغة في سياقها الاجتماعي، والوقوف إلى التغييرات الحادثة من الحراك المتبادل بين اللغة والمجتمع.

وقد صدر علماء اللغة الاجتماعيون عن قناعة ترى أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتوفر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية. وهي تدخل في علاقة

<sup>1</sup> أوتو يوسن: اللغة بين الفرد والجماعة، ص. عبد الرحمن محمد، ص 12.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع العربي، ص 22 وما بعدها.

جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، وهي نسق عام يشترك في اتباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون فيما بينهم؛ لأنها أظهر العرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة، وهي على الدوام رمز لما بينهم من تشارك.

ليست اللغة من صنيع فرد، إنما هي تعاقد يجري بين أعضاء الجماعة تقتضيها طبيعة الاجتماع، فالعلاقة بين اللغة والمجتمع هي علاقة الفاعل والمنفعل لكليهما. وليس بمكنة عالم الاجتماع نزغ الأثر اللغوي في دراسته للمجتمع، كما أن دراسة اللغة تفضي إلى العناية بالسياق الاجتماعي، إذ لا يمكن فهم اللغة خارج سياقها الاجتماعي، وإن علم اللغة النظري العام لا يمكن أن يواصل مسيرته دون الإفادة من إنجاز علم اللغة الاجتماعي بوجه خاص<sup>1</sup>.

ومما شجع على نشوء علم اللغة الاجتماعي أن اللغة ظاهرة متشعبة الجوانب، فهي في وجودها بناء ذاتي يأتلف من مستويات صوتية وصرفية ومعجمية ونظمية...؛ لأنها في أدائها الطبيعي تتحقق بالمنطوق والمسموع، وهي كيان نفسي ترتبط بالدوافع والحاجات، وهي ظاهرة اجتماعية تمتد في بنية المجتمع وتكوينه. فاللساني يتوخى منهجاً يدرس تطور الألفاظ، وارتباط المفردات والتراكيب بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية...

فاللغة ليست بناء مجرداً من المؤثرات الخارجية، لذا كان ينبغي أن يعبر علماء اللغة اهتماماً لتأثير الحياة الاجتماعية على اللسان، فتمت تزامن بين العوامل الاجتماعية وكل من الكلام، والتنوعات اللغوية، واللهجات والازدواج اللغوي، والخطاب السياسي والأدبي والإعلامي...

فتفسير الوقائع اللغوية بمعطيات المجتمع تفضي إلى تجلية الظاهرة اللغوية، وربطها بسياقها.

<sup>1</sup> هلسون: علم لغة الاجتماعي، ص 7.

## تجليات العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي للجنسين:

شغل علماء اللغة بالتنوعات اللغوية وأثر العوامل الاجتماعية والثقافية فيها، مثل: التدرج السني، والانتماء العرقي (race)، والاختلافات بين الجنسين، والمكانة الاجتماعية، والسياق الاجتماعي للكلام، والمركز الاقتصادي والسياسي، وغيرها من العوامل التي تسهم في التفكير اللغوي.

ولعل ما يستجلي الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي هو دراسة السلوك اللغوي للجنسين، وارتباط التنوعات اللغوية بالعامل الاجتماعي والثقافي.

فالاختلافات في الكلام بين الرجل والمرأة لا يمكن دراستها بنجاح بمعزل عن بعضها، وبالتالي فإنّ المواقع الاجتماعية المختلفة وغير المتساوية في القوة يجب بحثها ودراستها من منظور اجتماعي.

ويتعين إشراك الجانب النظري من العلوم الاجتماعية في مناقشة السلوك اللغوي للجنسين؛ لأنّ كثيراً من التباينات اللغوية للجنسين تصطبغ بعوامل اجتماعية وثقافية، فالرجال والنساء نتاج تأثيرات المحيط وشروطه.

لقد جذر المجتمع فروقاً بين الجنسين كتقسيم العمل، وسيادة الرجال على النساء، وحصر النساء بأعمال نسوية الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي.

يذهب دارسو النسوية إلى أنّ الفرق بين الرجل بصفاته الإيجابية، والمرأة بسماتها السلبية مما ينجم عنه الهرمية الضدية بين الذكر والأنثى، إنّما هو فرق أيديولوجي ثقافي اجتماعي دافع عنه المجتمع والثقافات المختلفة بقوة القانون والسلاح، كما أنّ الضغط الاجتماعي والثقافي يؤسس "بنية جنسوية"، ويجيز الدور الذي يشغله كل من الطرفين، وبهذا فإنّ الثقافة وليست الطبيعة

البيولوجية هي التي تضع قيوداً ومحددات على طرق التفكير والإبداع والسلوك"<sup>1</sup>.

ويدعم علم النفس التجريبي هذه النظرة بإشارته إلى:  
 "أن أكثر خصائص المرأة، نحو: أقل عدوانية، أقل اهتماماً بالأشياء التقنية، أكثر سلبية، أقل استقلالاً، أقل إبداعاً، أقل طموحاً، ... سببها اجتماعي"<sup>2</sup>.

فالمرء لا يأتي إلى العالم امرأة، كما تقول (سيمون دي بوفوار) - بل يجعلون منه هكذا... فالمرأة تبدأ بالقول أنا امرأة حين تحاول تعريف نفسها، وليس هناك رجل يفعل ذلك، هذه الحقيقة تكشف اللاتماثل بين مذكر ومؤنث، فالرجل هو الذي يحدد الفارق الإنساني وليس المرأة"<sup>3</sup>.

كان الاعتقاد السائد في القرون الخوالي، أن منشأ هذا الاختلاف بين الجنسين هو اختلاف (فسيولوجي) و (بيولوجي)، حتى تحولت هذه اليقينيات في وعي الأفراد إلى متشعب يُعلّقون أخطاء المرأة عليه، فهي جنس ضعيف، طبيعتها تملّي عليها الرضا بالهامش، وأخذ دور التابع.

فالجبرية البيولوجية أمست الطبيعة الثانية للمرأة، والمُسوّغ لغيابها عن مواقع الفعل والتأثير؛ لذا اقترنت المرأة - وفق ثقافة المجتمع - بأدوار نسوية الطابع في حقل الإنتاج الاجتماعي، فالنساء مُعرّفات بالطبيعة أو مرتبطات بها بشكل رمزي، إذا ما قورن بالرجال المعرفين بالثقافة؛ التي تؤكد ذاتها تبعاً لتفوقها على الطبيعة.

<sup>1</sup> ميشال رويبي، وسعد الطرعي: دليل النقد الأدبي، ص 85.

<sup>2</sup> أورزو لاصوي: أصل الفروق بين الجنسين، ت. بوعلي ياسين، ص 14.

<sup>3</sup> رامان ملدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ت. جابر عصفور، ص 195.

إنَّ الهوية الجنسية تُفرض على الجنسين منذ النشأة الأولى، فَيُدفع الأطفال بصورة منتظمة إلى دور جنسوي يتناغم وجنسهم . وترى عالمة النفس (أورزولا شوي) أن فرض الهوية الجنسية يبدأ في رحم الأم، فإذا تمتع الجنين بحيوية زائدة قيل "سيكون صبياً". وكذا الأمر في الرضاعة، فالأمهات يُرضعن البنات بشكل مغاير لإرضاع الصبيان، وعلى البنات الصغيرات أن يتناولن الحليب أسرع من الصبيان، وفي المتوسط تُنظّم البنات أبكر من الصبيان بثلاثة أشهر. هنا تقبل الأم بصورة لا شعورية بسُلطة الرجل الصغير واستقلاليته، فتترك له الإيقاع الطبيعي لرضاعته، فيما تقطع على البنت إيقاع رضاعتها، ولا تُبدي استعداداً لمسايرتها، بل تُخضعها لإرادة غريبة<sup>1</sup>.

نهضت كثير من الدراسات لبحث الفروق بين الجنسين، والوقوف على الحقيقة التي مرَّرها المجتمع، بشأن تفوق الذكر، وتراجع الأنثى، وهل مبعث ذلك ما وهبته الطبيعة للذكر من قدرات بيولوجية وعقلية، ونزعته من الأنثى؟.

لكن هذه الدراسات انتهت إلى "أنه لا يتوفر دليل علمي في البيولوجيا أو الفسيولوجيا ما يُثبت أن المرأة أقل من الرجل عقلاً، أو جسداً، أو نفساً.

\* إنَّ الأصل في التعبير هوية الجنس Gender identity: أي في تعريف الولد أو البنت على حقيقتها جنسها ولأنها أو بنتاً، إنَّ هذا الأصل هو هذه الأنوثة التي يعايشها كل من الولد والبنت بالأم منذ الولادة. ويطلق علماء النفس عليها اسم الأنوثة الأولية Proto femininity ، وهناك من الشواهد ما دبت أنها تُعطر على هذه الأنوثة منذ ولادتها، ولكننا نتجه من بعد إلى تأكيد الذكورة فيما لو الأنوثة الأولية، ولو لم تكن هذه الأنوثة عطرية ما كان من الممكن أن يتسول الأولاد إلى الأنوثة ويصغر فون بخنونة. والتحقُّق في الذكور سببه تعلق الأولاد للذكور بالأم حتى يُشق على الولد أن يبتغي عن أمه في سن المدرسة، ويجد العت الصدية، في الاتصال بها.

ينظر: عبد الغم الحمني: التوسعة النفسية الجنسية، (6)، وما بعدها.

<sup>1</sup> أصل الفروق بين الجنسين: ص 9.

إنَّ الوضع الأدنى للمرأة فُرض عليها من المجتمع لأسباب اقتصادية واجتماعية لصالح الرجل، ومن أجل بقاء الأسرة الأبوية واستمرارها...<sup>1</sup>.  
فهذا التسلسل الهرمي لا يستند إلى أساس بيولوجي أو طبيعي، بل يتسلسل من خلال المنظومة الاجتماعية لإقامة الفروقات، وعدم المساواة.

تذهب روث بلير (Ruth Bleier) "أستاذة الطب" إلى أن التمييز الطبيعي أصبح جزءاً من (أيدولوجيا) تسعى إلى جعل ما هو في الحقيقة اختلافات اجتماعية وسياسية يبدو فوارق طبيعية وبيولوجية، وبذلك تسوّغ التمايز في الأدوار الاجتماعية وعلاقات الهيمنة بالخضوع، وأكثر من ذلك أن ما يمكن أن يفرض بوصفه طبيعياً يصبح ببساطة معياراً يسوّغ القواعد والأعراف التي تقتضي استهجان كل من يحيد عنها وعقابهم<sup>2</sup>.

فالتذكير والتأنيث مفهوم ثقافي وتصور ذهني، وليس قيمة طبيعية جوهرية. فلماذا يجري تفريغ الجسد المؤنث من اللغة، وعزله عن الفعل والتفاعل اللغوي؟ يجيب عبد الله الغدامي عن هذا التسأل بقوله: "إنَّ ذلك عائد إلى التصور الثقافي الذي يرى أن جسد المرأة خالٍ من الفعل، وهذا تصوّر ثقافي عالمي، نقرأ لدى النمركيين هذا المثل (للنساء فساتين طويلة وأفكار قصيرة)<sup>3</sup>".

فاللغة تعكس تنظيم المجتمع، ولكنها أيضاً وسيلة لبناء الواقع/الحقيقة، والسلوك اللغوي يعكس الفروقات في القوة، وفي الآن نفسه يُستهم في التوزيع غير العادل.

<sup>1</sup> نوان السعدوي: الأثني هي الأصل: ص 18.

<sup>2</sup> مجيد الرويلي، وسعد البرعي: دليل النقد الأدبي، ص 86-87.

<sup>3</sup> عبد الله الغدامي: ثقافة الوهم، ص 66.



إنّ تنوعات اللغة مرتبطة بالاختلافات في الطبقة الاجتماعية والسلالة، والعمر، والجنس. واللغة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بثقافة الناس الذين يتكلمونها، وإنّ هذه الثقافة يمكن تحليلها بحصر حزمة من المواقف الاجتماعية التي يُسمى كل منها (مقاماً)، فالألفاظ الخاصة التي تُعبّر عن فئة من الناس أو مرحلة من مراحل العمر تشبه العلامة الفارقة التي تميّز تلك الفئة أو المرحلة. وتتجلى هذه التمايزات في المواقف الاجتماعية العديدة، ولعل أظهرها أساليب التحية والنداء، وأحسب أن التمثيل على ذلك يحقّق ما نهجس به.

- عبارات التحية: أعرض هنا إلى العبارات الشائعة في مجتمعنا لتبيّن

أثر السياق الثقافي والاجتماعي في السلوك اللغوي:

- مرّحباً، مرّحباً (بتريق الرأء وتسهيل الحاء).

- صباح الخير، صباح الخير (بإشراء الصاد سيناً، ومطل الياء).

- صباح الورد، صباح الفل.

- السلام عليكم.

- هاى.

- مساء الخير، مساء الخير، مساء الخير.

- على العافية، العوافي، يعطيكم العافية (ينطيك العافية، ينطيكوا

العافية "للجمع". أو ينطيشوا العافية بنطق الكاف كما تنطق (ch)

في الإنجليزية).

- قو الرجال، قوكم (تنطق القاف متأخرة إلى الخلف).

- عبارات النداء:

- مامأ، بابا / أمي، أبي / مامي، بابي / مماء، بباء / مَم، دادي /

يُم، يوبه / يَمه، يابه.

لعلنا نستشعر من هذه العبارات الطبقة الاجتماعية أو المركز الاجتماعي الذي يشغله المتكلم أو المخاطب على السواء، كما توميء العبارات إلى المراحل العمرية، والمستوى الثقافي للمتكلم، والفروق الجنسية، والعلاقة التي تربط بين المتكلمين والمخاطبين، إلى غير ذلك من اختلافات اجتماعية، مما يؤكد أن اللغة سلوك اجتماعي يحدده المجتمع في المقام الأول.

يشرع التركيب الاجتماعي والثقافي ببذر قوانينه منذ تخلق الجنسين، فثمة سلوك متعين للجنسين، ولا ينبغي الخروج عن هذه الضوابط، فالبنات في بعض الشرائح الاجتماعية تُلَقَّن اللغة بطريقة مفارقة للصبي، فلا يُسمح لها الحديث بصوت عال، أو مقاطعة الكبار، أو إبداء رأيا في حوار أو مناقشة، أو أن تتنطق بعض الألفاظ، أو أن تتداول بعض النكات.

... فالبنات الصغيرات لا يتحدثن هكذا، البنات لا ترفع صوتها، البنات المؤنبة لا تتدخل في شؤون الكبار، البنات تبتسم ولا تضحك ... .

أما الصبيان فيَحْتَظُونَ بما حرّم على البنات، فلهم أن يصرخوا، وأن ينفجروا غضباً، وأن يعترضوا، وأن يقاطعوا في الحوار، وأن يُلْقُوا النكات البذيئة، وأن يضحكوا بصوت مرتفع، وأن يسخرُوا من الآخرين، فهم صبيان، ويحق لهم ما لا يحق لغيرهم.

ويُمنع المجتمع في تعزيز هذا السلوك حتى يغدو قانوناً طبيعياً يستكن في العقول فلا يحيد عنه أحد الجنسين، ولو حاولت البنات أن تنسب عن الطوق الاجتماعي لتعرضت للسخرية والتوبيخ، ولو قلّد الصبي البنات في حديثها لاستهجنوا صنيمه، ورموه بالتخنث، والتكسر، والميوعة ...

تذكر روبين لاکوف (Robin Lakoff) : "أن الأطفال في اليابان من الجنسين يستخدمون أنوات التعريف الخاصة بالمرأة إلى أن يبلغوا الخامسة من

أعمارهم، ثم يوجه الذكور إلى التوقف عن استخدام هذه الأساليب اللغوية حتى لا يوبخوا ويُستخر منهم<sup>1</sup>.

وثمة أعراف اجتماعية للجماعات والأمم تظهر العامل الاجتماعي في السلوك اللغوي "فالأبييون (Abipon) في الأرجنتين يقومون بإضافة اللاحقة (in) (إن) في نهاية كل كلمة، إذا كان المتحدث أو المتلقي من المحاربين. وتتضمن لغة اليانا (Yana) في "كاليفورنيا" صيغة تستخدم في الكلام عن النساء أو فيما بينهن"<sup>2</sup>.

"وفي لغة الكوساتي (Kossati) المستخدمة في "لويزيانا" (Louisiana) هناك اختلاف في صيغ الأفعال التي تستخدمها الإناث، وتلك التي يستخدمها الذكور يقوم الذكر بإضافة (-S) في نهاية الصيغ المؤنثة؛ ومن الأمثلة على ذلك: أن الذكور يستخدمون صيغة lakáws، وتستخدم النساء صيغة lakáw، وتعني الصيغتان "يرفع"<sup>3</sup>.

"وفي واحة سيوة الواقعة في صحراء مصر الغربية يتحدث الرجال اللغة العربية بجانب استخدام اللغة السيوية، أما النساء فلا يتحدثن إلا باللغة السيوية، ولا يستطعن التعامل بالعربية.

وشبيه بهذا في المناطق النوبية في مصر أو البربرية في المغرب العربي والمهرية في شرق اليمن. وارتباط لغة بعينها بالرجال دون النساء يرجع إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية، فمجتمع النساء في هذه البيئات منفصل

1 Extract from Language and Woman's Place, by Robin Lakoff, from (The Feminist Critique of Language, Cameron, D (ed) 1998, p. 242).

2 See The Feminist Critique of Language, Edited by, Deborah Cameron, p. 242.

<sup>3</sup> هاسون: علم اللغة الاجتماعي، ص 190.

تماماً عن التعامل الخارجي، ولذا لم تدخله العربية؛ لغة التعامل الخارجية،  
ولغة التعليم والثقافة<sup>1</sup>.

إن إنتاج الخطاب في كل مجتمع هو إنتاج مراقب، ومنتقى، ومُعاد توزيعه  
من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها الحد من سلطته ومخاطره.

وإذا تقبلنا فكرة (ميشيل فوكو) التي ترى: "أن ما هو صواب يعتمد  
على من يُهَيِّم على الخطاب"<sup>2</sup>، فمن المعقول أن نسلم بأن سيادة خطاب  
الرجل أوقع المرأة في فخ حقيقة المذكر، فحين سيطر الذكر على الخطاب قام  
بتشكيل الواقع وفق تصوراتهِ، فوزع الأنوار الاجتماعية، وعضد موقفه ببناء  
التقسيمات، واختيار المعاني، بعد ذلك قام بالمصادقة عليها، ولم يكن للمرأة في  
هذا سوى الرضوخ، والرضا بنصيب "أم الحطيس" في الشاهد النحوي المشهور.

في ظل هذا المشهد الذي آلت الأمور فيه إلى الرجل، تشكّل السلوك  
اللغوي للجنسين، فالمرأة أكثر ميلاً للمحافظة على العادات والأعراف، وأشد  
التزاماً بالمعيار، فهي لا تمساق إلى التغيرات الحادثة باندفاع الرجل.

ولعل هذا السلوك الذي تتجه له المرأة يحقق لها -وفق نظرتها- احتراماً  
في التراتب الاجتماعي، ويجنبها السخرية والانتقاد من محيطها، فقلما تلجأ  
المرأة إلى اللغة السوقية أو الابتذال في الألفاظ.

وقد لا ينسحب ذلك على المرأة العربية في العصر الراهن، فهي  
تنتحي -على الأغلب- لهجة محلية تحظى بالسيرورة والمكانة الاجتماعية؛  
لأن ذلك يضيء عليها مُسْحَة أنثوية، إضافة إلى أن الدور الذي تشغله المرأة  
في السلم الاجتماعي لا يوفر لها سبب اكتساب لغة الثقافة السائدة، إذ إن دور

<sup>1</sup> علي عبد الواحد وافي: علم اللغة، ص 24.

<sup>2</sup> ميشيل فوكو: نظام الخطاب، ص 9.

المرأة مُختَرَل في الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، وفي أعمال اجتماعية محدودة؛ مما يُلجئ المرأة إلى الاكتفاء باللهجة المَحْكِيَّة في أذانها اللغوي.

أما الرجال فلهم فضاؤهم المتراحب، فمنهم السياسي، والاقتصادي، ورجل الدين، والتربوي، والعسكري، والإداري ... إلى غير ذلك من أدوار تُسهم في إكسابهم اللغة القياسية إلى حد كبير.

فالتنوع اللغوي يلتحم بالعامل الاجتماعي وجوداً وعدماً.

ومما يورث إلى العامل الاجتماعي وأثره في تشكيل السلوك اللغوي للجنسين. "أن النساء في اليابان يصفن اللاحقة ne إلى نهاية كل جملة دلالة على أنهن نساء، مما يدل على المكانة الاجتماعية التي تشغلها المرأة في المجتمع الياباني. الذي - غالباً - يصور المرأة أنها تابعة للرجل، وأن مكانها دائماً في البيت، لذا يستخدم الرجال كلمة Kanai للإشارة إلى زوجاتهم، وتدل هذه الكلمة على الشخص الذي يبقى رهين البيت، إذ إن المقطع "Ka" يعني البيت، المنزل، العائلة، و "nai" يعني الشخص في إطار المجتمع الياباني.

وتعبّر كلمة Kanai عن علاقة الأعلى بالأدنى، أي الرجل بالمرأة، ولعل الأسوأ من ذلك، أن الرجال الطاعنين في السن يستخدمون كلمة "Gusai" وتعني الزوجة الغيبة للدلالة على زوجاتهم، والاستهجان هنا أنه لا توجد كلمة بمعنى الزوج الغيب، بل إن هناك تعبيراً "يا سيد" لمخاطبة الرجل من قبل المرأة<sup>1</sup>.

"وأوضح جيرتر Geertz أن النساء في جزيرة (جاوا) في أندونيسيا يمارسن المهن المختلفة، ويملكن المزارع ويُشرفن على الحصاد، أما الرجال فيقومون بأعمال البيت كالتنظيف، والتدبير المنزل وإعداد الطعام.

<sup>1</sup> إيراهيم الملا، فسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أنكلو، ع149، ص20.

وفي هذه الجزيرة تحظى لغة النساء بالسيرورة والتَّمُّل من قبل الأَطْفال والبالغين<sup>1</sup>.

ووصف سيجل (Seigel) العائلة الأتجية في أندونيسيا: "بأن النساء فيها يقطنَ في المنزل الخاص بالأباء والأجداد بعد الزواج، ويمتكن قياد الإدارة في البيت.

ويقتصر دور الرجل في هذه العائلة على جلب المال، وتتظر نساء هذه العائلة إلى دور الرجل بأنه محصور بين الطفل والضيف"<sup>2</sup>.

لعل هذه التجليات لمكانة المرأة تستدعي مرحلة مرت بها المجتمعات وهي مرحلة السيادة المتريركية (الأمومية)؛ إذ كانت المرأة تنافس الطبيعة في خصوبتها، وهي السيدة الأولى في المجتمع، بيدها معاهد الأمور، وباسمها كانت تهجس الثقافة، وهي موضوع التأمل، ومنبع الحركة والحياة.

لذا "فإن أول دينة للرجل كانت المرأة، منها بدأ تعبد، وإيها شرعت الصلوات الأولى، وهي الرحم العالي، ومنشئة الكون، ومصدر كل شيء، من ذاتها تخلق الإنسان، وفي بطنها نشأ"<sup>3</sup>.

كتب ميشيل شتيفان (Michael Eshtevan) عن المجتمع الأمومي: "كانت النساء منتجات في المجتمعات المتريركية، وكنَّ يتحكمن بوسائل الإنتاج، ولسيطرتهن على السلطة الاقتصادية والاجتماعية امتلكن السلطة السياسية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> Woman, Culture and Society, by Michell Zim and Lampberc, p. 25.

<sup>2</sup> See: Woman, Culture and Society, P. 26.

<sup>3</sup> كلمي: العشق الجنسي والنفوس، ت. عب. الهادي عبّاس، ص 20-21.

<sup>4</sup> عن: لورولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ص 30-31.

وفي ظني أن هذه التحققات الاعتبارية للأنثى قد تُقضي إلى تغيير في الخطاب السائد، والسلوك اللغوي للأفراد، فالأنثى حين تتمتع بحرية الخطاب، وتنوع الاستعمال بما يوائم الدور المنوط بها، فإنه سيختفي معجمها الذهني ويتنوع، وهذا يؤكد ارتباط قوة الخطاب بروافد الحضور.

إنّ اللغة تتأثر بمحيطها، فارتباطها بالمجتمع ارتباط الجزء بالكل، ولعل هذه الإرهاصات متعينة في سلوك الأفراد في المجتمع.

هذه الرؤى الاجتماعية سكبت نسقها في يخضور اللغة حتى صيرتها بيد الأكوي، فشكّل الرموز، واجترح المفردات، وترتّب على عرش الخطاب.

يتباين السلوك اللغوي للجنسين تبعاً للأثر الاجتماعي الممارس على الجنسين، فالمجتمعات التي تضرب حُجُبها على الأنثى، يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الذكر فيصبح للأنثى ألفاظها، وموضوعاتها، واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن لغة الذكر.

لما المجتمعات التي تتيح للجنسين التفاعل والاختلاط فإنّ السلوك اللغوي يتضام في شكل الخطاب، واختيار المفردات، بل قد يتقارب في الأداء اللغوي.

لاحظت الباحثة جينيفر كوتس (Jennifer Coates) أنّ مجموعات معينة من النساء مثل المتخصصات، والمشتغلات بالسياسة قد اخترن لأنفسهن أساليب لغوية جديدة وفرت لهن التقارب من اللغة السائدة/ لغة الرجل. بأساليب متنوعة، منها:

- تجنب الأصوات الحادة ذات التردد العالي.
- استخدام الألفاظ المُبتذلة، والمفردات السُّوقية والمحرمّة Taboo.
- اختيار الملامح فوق التركيبية الأكثر قرباً من ملامح الرجال، كاستخدام الأنماط التقييمية الهابطة بدلاً من الصاعدة.

- تفضيل الأسلوب الأكثر جزمًا في التفاهم داخل المجموعة.
- التفاعل في موضوعات - كانت وفقًا على الرجال - مثل السياسة، والاقتصاد، والاجتماع.
- الميل إلى استخدام اللغة السوقية، وتجنب اللغة المعيارية<sup>1</sup>.

لعل ما دفع هؤلاء النساء لنهج هذا السلوك هو سيطرة لغة الرجل، وتسيده إنتاج الخطاب، فالمرأة بتماهيها مع لغة الرجل تقترب من القوة، ومناقسته في مضارب الحياة.

لذا لجأت بعض الكاتبات إلى انتحال أسماء نكورية للكتابة في المجلات والصحف، لأن المجتمع لم يتقبل بعد خوض المرأة ميدان الكتابة، لارتباط لغتها -وفق المخيال الاجتماعي- بالسذاجة، والسطحية ومن هؤلاء \* Marian Evans التي لجأت إلى اسم (George Eliot) والأخوات برونتي Brontes اللواتي استخدمن أسماء رجال هي: (Currer Bell, Ellis Bell, Acton Bell) ولجأت Mary Murfee إلى (Charles Egbert Craddock) في كتابتها<sup>2</sup>.

إنها تلج اللغة عبر قنطرة الرجولة، فهي بوابتها الشرعية لتمنحها القبول والسيرورة، فالمرأة مسكونة نومًا بهاجس إرضاء السائد، وتجنب الانتقاد. ولا نستهن ما قالت (مي زيادة):

"نحن في حاجة إلى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أحمد مختار: اللغة واختلاف الجنسين، ص 37، نقلًا عن:

Women, Men and Language, by Jennifer Coates, P. 10.

<sup>2</sup> Toward a feminist poetics, by Elaine Showlter, P. 138.

<sup>3</sup> مي زيادة: الأعمال الكاملة، 1/170.



ولعل التماهي مع لغة الآخر دعا الروائية (أحلام مستغانمي) للسرد بلسان الرجل؛ لأنّ ذلك يوفر لها حرية التّوَجُّح، ويُشرِّع لها أفقاً لا تتحقّق لو كان السرد بلسان أنثى، إنها تكتّيب لاستعادة صوتها، وممارسة حقها في اللغة "نحن نكتب لنستعيد ما أضعناه، وما سُرِق منا خلسة"<sup>1</sup>.

إنّ ما تلجأ إليه المرأة للمصاحبة من لغة الرجل هو حيلة نصبها المجتمع للمرأة لإبقاء الذكورة قيمة معيارية تظل المرأة ترنو إليها لمحاكاتها. لقد قيم جوك هيوزمان (Joke Huisman) النقاش الخاص بالمساواة والاختلاف بين الجنسين، فنكر:

"ما إن تُستخدَم كلمة "امرأة" في سياق سياسي أو نظري حتى تواجه لا شعورياً ما تواجه الحركة النسوية، فوضّح النساء يختلف عن وضّح الرجال، وتعدّ مكانة المرأة منحرفة عن السياق العام بفضل سيادة الذكورة على الثقافة، واللغة والقيم.

ومن المُحال أن نجد أسساً واضحة للفروق بين الرجل والمرأة من وجهة نظر واحدة، فثمة آراء ترى الجنسين متساويين، وآراء أخرى تقدّمهما متباينين. وكل يستند إلى ما يعضدّ زعمه.

وإذا ألقينا نظرة فاحصة للفروق. وكيف تنشأ، ننتهي إلى أنّ مفهوم كلمة "الرجل" يمثّل العام/ الشامل/ العالمي/ الإنسان.

أما كلمة "المرأة" فهي رديف الانحراف/ الثانوي/ الهامشي؛ لذا تنعت المرأة بالآخر، وهذا يفضي إلى إجبار المرأة على تحديد مكانها في عالم الرجل، أو أنّ تخوض مجالاً آخر في عالم (اللائساء)، وبالتالي تنأى عن التيار

<sup>1</sup> أحلام مستغانمي؛ ذاكرة الجسد، ص 105.

الرئيس. وباختيار سبيل الفريدة تتكفىء المرأة على ذاتها في ظل حضارة تهيمن عليها قيم الذكورة<sup>1</sup>.

وتخلص من عرض هذه الأنظار أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتسامى فوق وعى الفرد، فهي سابقة في وجودها وجود الفرد؛ لأن قواعدنا ونظمنا تأتلف والقيم التي ارتضاها عقل الجماعة، ومن ثم فهي تنظم عقول الأفراد، وتصوغ قنوات الاتصال اللغوية الأساسية التي يتفاعل الأفراد من خلالها.

فاللغة بذلك سلوك توجهه المعايير والمعاني والقيم في مواقف التفاعل التي تحددها المناسبات الاجتماعية المتعددة. فاستخدام الفرد للسلوك اللغوي تحكمه شروط النظام الاجتماعي، وتسهم هذه الشروط في اختيار الصياغة اللغوية المنسوقة والسياق الثقافي والاجتماعي للموقف الكلامي.

ولعل علاقة التلاحم التي تربط اللغة بالحراك الاجتماعي، أفضت إلى نهوض اللسانيات الاجتماعية برصد اللغة في سياقها الاجتماعي الذي تحدث فيه النشاطات التفاعلية للغة والثقافة، إذ إن هذه النشاطات تصطبغ بالخبرات الاجتماعية والثقافية للفرد، فالسلوك اللغوي والسلوك الاجتماعي في حالة تفاعل دائم، ويتجلى في مناسبات الحياة المختلفة، كالمناسبات الاجتماعية. فعبارات التحايا والمجاملة والوداع، وأضرابها من الكلام تمثل لعادات اجتماعية، ووسيلة للتعاون والترابط الاجتماعي. ويمكننا من خلال هذا السلوك أن نتبأ بلهجة الطبقة الاجتماعية Social class dialect، فالجماعات الاجتماعية تستخدم لهجات لغوية متباينة تتأثر بالتمايز الاجتماعي القائم بين هذه الفئات.

<sup>1</sup> See: Women's Language, Socialization and Self – image, Edited by De'de Brouwer and Dorian de haan, PP. 131-132.

فلا مندوحة عن الالتفات إلى الأثر الاجتماعي في السلوك اللغوي، فالعوامل الاجتماعية بمنزلة الخلفية التي يجب الرجوع إليها لتحديد السياقات للمعنى والكلمات، فنحن مخلوقات اجتماعية يُسهم المجتمع في تشكيل ذواتنا وصوغها وفق المنظومة السائدة، وبالتالي يتخلق سلوكنا تبعاً للمعيار الضابط. وإخال أن رصد السلوك اللغوي للجنسين ينطوي على الصلة الوثقى بين العوامل الاجتماعية والسلوك اللغوي، فحقيقة الفروق القائمة بين الرجل والمرأة ليس مردّها العامل البيولوجي أو الطبيعي، بل مزجها العامل الاجتماعي والثقافي.

ولعل ما يكتنف هذه الفرضية من إلماعات ومغامرة، قوى في النفس دراسة السلوك اللغوي للجنسين وفق اللسانيات الاجتماعية؛ لأن دراسة اللغة في السياق الاجتماعي يُستقر عن فيوض قد لا تتأني للمناهج اللغوية الأخرى.

## الباب الثاني نظرة اللغة إلى الجنس

- الفصل الأول: تصنيف الجنس في اللغة

- الفصل الثاني: الثقافة، اللغة، التحيز



## تصنيف الجنس في اللغة:

مذ وطئ الإنسان هذه البسيطة وهو يعارك المجهول، لاستجلاء ما  
التبس عليه من أسرار وكُمون. ولقد وفق في مقصده في أحيان كثيرة، إلا أن  
ثمة ظواهر اعتاصت عليه؛ لما يكتنفها من غموض وتركيب.

ولعل من أظهر هذه المسائل، مسألة الجنس.

فعلى الرغم مما خطه السابقون، وملاؤا به أسفارهم، إلا أنهم لم يأتوا  
بالقول الفيصل في هذه المسألة، فأكثر ما ارتبطت هذه الظاهرة بالحكاية  
والسماح، وهذا ما انتهى إليه "ابن وهب" حين قال:

"ليس يُوصَل إلى علم المذكر والمؤنث من هذا الباب إلا بالسماح دون  
القياس"<sup>1</sup>؛ لأنها لا تنتظم في قواعد صارمة لا تتخلف، ذكر "ابن التستري":  
"ليس يجزي أمر المذكر والمؤنث على قياس مُطرد، ولا لهما باب  
يحصرهما"<sup>2</sup>.

ولم يقتصر الجار بالشكوى على السابقين، بل انتقلت الحيرة إلى  
المحدثين، على الرغم مما بذلوا من وكَد في البحث والنظر. ذكر المستشرق  
(برجشتراسر):

"التأنيث والتذكير من أغمض أبواب النحو، ومسائلهما عديدة مُسكَّلة، ولم  
يُوفق المستشرقون إلى حلها حلاً حازماً مع صرف الجهد الشديد في ذلك"<sup>3</sup>.  
ولعل اقتران مسألة المذكر والمؤنث بالغموض، كامن في أسباب  
عديدة، منها: ارتباط التأنيث والتذكير بالتاريخ اللغوي، ونشأة اللغة والتطور  
الذي طرأ على مسيرتها أمر نجهله، فلم تترك الأمم من الأمارات الكافية ما

<sup>1</sup> ابن وهب: الفرمان في عبوة البيان، ص 329.

<sup>2</sup> ابن التستري: المذكر والمؤنث، ص 47.

<sup>3</sup> برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ص 112.

يدل على لغتها، فانقرض كثير من اللغة الأولى، ونُرسِت آثارها، وعَفَت رسوماها.

وأحسب أن غياب الأتلة المادية والبراهين المحسوسة من شأنه الحنول دون الوصول إلى تفسيرات قاطعة لهذه المسألة وغيرها من الفصائل النحوية، كالعدد، والزمن، والجنس ...

وهناك سبب آخر أسهم في خفاء مسألة المذكر والمؤنث، هو تصنيف الجنس في اللغة، فقد تم توزيع المحسوسات والمجردات على قسمين وحسب، هما: "المذكر والمؤنث"، فداخل القسم الواحد ما لا يتعلق مع غيره بقرينة، فالمذكر والمؤنث ارتبطا بالجنس الطبيعي وهو قرينة مادية حسية، وانتفاء هذه القرينة -بالضرورة- أسفر عن غموض في التصنيف، وفوضى في التوزيع.

وانعكس هذا الغموض على تفسيرات الباحثين وتأويلاتهم: فتغلقت آراؤهم بالخيال والأسطورة، مما زاد الظاهرة عماء واعتياصاً.

وإخال أن استدعاء تصنيف الجنس في اللغات الأخرى يعضد ما نهجس به، فالساميون صنفوا الجنس وفق قسمين: المذكر والمؤنث، مما يتفق وثنائية الوجود، إلا أن التفسيرات تباينت في العلة التي دفعت الساميين إلى هذا التصنيف.

يَقْتَرِض وليم رايت (W. Wright): "أن الخيال الخصب للساميين كان يرى أن جميع الأشياء حتى تلك التي يبدو واضحاً أن لا حياة فيها (ليست نشيطة) تتمتع بالحياة، لذلك لم يبرز عندهم سوى جنسين وحسب، وكذا في الطبيعة جنسان"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> Lectures on the Comparative Grammar, by. W. Wright. P 131.

ويغلب على ظني أن الساميين وضعوا في البدء اسماً واحداً لكلا الجنسين، فالإبل للمذكر والمؤنث، والعافر للمذكر والمؤنث، والطفل للمذكر والمؤنث؛ ولكن بعد أن ارتقت حياتهم وتوسعت آفاقهم. صاروا يفرقون بين المذكر والمؤنث في اللغة لا بوسيلة نحوية، ولكن بكلمة للمذكر وأخرى للمؤنث.

ولهذا الافتراض ما يناصره من تجارب الإنسان ومنطق الأشياء، إذ إن التطور يبدأ من البسيط إلى المركب؛ لأن التمييز والتصنيف مراحل متطورة في التفكير المجرد، الذي يعد شكلاً من المعرفة أكثر تعقيداً، ويعكس العالم وعملياته على نحو أكثر عمقاً وكمالاً بالمقارنة مع المعرفة الحسية. فالانتقال من المعرفة الحسية إلى الفكر المجرد يمثل قفزة نوعية في تطور اللغة، لأنه تطور من معرفة الوقائع إلى معرفة تفصيلات أكثر عمقاً.

لم يكن اجتراح مفردة للمؤنث وأخرى للمذكر أمراً يسيراً في ظل عناء الإنسان اليومي وهو يواجه صراع بينته بحيواناتها الضارية وبرودتها القارسة، لأن انتحاء هذه الوجهة - بالضرورة - سيضخم معجمه، ويعني النفس لا ابتداع ألفاظ ملائمة للحدث من المسميات. وقد تنبه بهاء الدين بن النحاس في (التعليقة على المقرَّب) إلى هذا الأمر، فقال:

"كان الأصل أن يوضع لكل مؤنث لفظ مؤنث غير لفظ المذكر، كما قالوا: عير، وأتان، وجذّي، وعناق، وحمل، ورخل، وحصان، وحجر، إلى غير ذلك.

لكنهم خشوا أن تكثر عليهم الألفاظ، ويطول عليهم الأمر، فاختصروا ذلك بأن أتوا بعلامة فرقوا بها بين المذكر والمؤنث تارة في الصفة، كضارب وضاربة، وتارة في الاسم، كامرئ وامرأة، ومرء وامرأة في الحقيقي، وبلد



وبلدة، ثم إنهم تجاوزوا ذلك إلى أن جمعوا في الفرق بين اللفظ والعلامة للتوكيد وحرصاً على البيان، فقالوا: كَبَشٌ وَنَعَجَةٌ وَجَمَلٌ وَنَاقَةٌ، وبلدٌ ومدينة<sup>1</sup>.  
وأنتى جريبر (Gruber) على هذا التصنيف فرأى أن: "الأفضل للغة أن تتضمن طرقاً اشتقاقية للحصول على كلمات جديدة بدلاً من اللجوء إلى كلمات جديدة تماماً. إذ إن الكلمة الجديدة أكثر كلفة للغة، وتتطلب مزيداً من الروابط بين أجزاء الكلام وتقسيماته الفرعية، وتصنيفاته ذات الصلة بهذه الكلمة"<sup>2</sup>.

اقتصرت اللغات السامية في تصنيفها للجنس على قسمين، ولم تُشَقِّق قسماً ثالثاً للمحايد، بل توزعت مادة المحايد (المجازي) على المذكر والمؤنث. فهل اتخذت اللغات الأخرى نهج السامية في التصنيف، أم انتحت شريعة أخرى؟ لعل في الإلماعات اللاحقة إجابة عن التسأل.

### الجنس في اللغات الهند أوروبية:

يذكر بروغمان (Brugmann) "أن في اللغات الهند أوروبية طريقتين للتعبير عن الفروقات في الجنس الطبيعي، إما بوجود جذور مختلفة (التي تقع عليها الحركات نفسها: فتحة، ضمة، كسرة). ولكن الحركات تختلف ومثالها كلمة deus التي تعني إله، dea التي تعني إلهة (مؤنث إله).  
أما فيما يتعلق بالجنس القواعدي فإنه لا توجد إلا طريقة واحدة للتفريق بين المذكر والمؤنث، ألا وهي: استخدام حركات مختلفة في نهايات الكلمات، مثل anima : animus في اللغة اللاتينية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الميوطي: الأشباه والنظائر، 37/1.

<sup>2</sup> Function of lexicon, by Gruber.P. 113.

<sup>3</sup> Grammatical Gender, by M.H.Ibrahim, p. 33

يرى بلومفيلد (Bloomfield) " أن تصنيفات الجنس في معظم اللغات الهند أوروبية لا تتفق في شيء في العالم العملي"<sup>1</sup>.  
ويضيف: " يبدو أنه لا توجد قاعدة أو مقياس عملي يمكن بواسطته تحديد الجنس في الألمانية، أو الفرنسية، أو اللاتينية"<sup>2</sup>.

لم تستقر اللغات الهندأوروبية على حال في تعاطيها مع الجنس، بل طرأ عليها تغيرات عديدة خلال العصور، ففي تاريخ اللغات الرومانية والجرمانية، والكلتية، وفي الفرنسية كثيراً ما جرت نهاية التنكير أو التأنيث معها الجنس المقابل لها، يقع ذلك إلى درجة أن عدداً كبيراً من الكلمات المنتهية بنهاية مؤنثة، التي تعدّها اللغة الصحيحة مذكرة حتى يومنا هذا استعملت أو مازالت تُستعمل في اللغة الدارجة على أنها مؤنثة، ولا سيما إذا كانت مبدوءة بحركة تمنع أصحابها بالأداة المؤنثة مثل الكلمات "exercice" "تمرين" و "Orage" عاصفة، و "ouvrage" عمل.

بل إن الكلمتين prophete "نبي" و "pape" "بابا" استعملتا مؤنثتين في العصور الوسطى بسبب النهاية المؤنثة في آخرهما. وهذا يُرينا مقدار اختلاف الجنس الطبيعي عن الجنس النحوي"<sup>3</sup>.

إن كانت اللغات الهندأوروبية قد قسّمت الجنس إلى مذكر ومؤنث ومحايد، فإنّ هذا النظام بدأ يختفي من بعض اللغات، مثل: الفارسية، وفقد الجنس مغزاه باعتباره تصنيفاً قواعدياً، ولم يبق من النظام القديم آثار سوى تلك الموجودة في الضمائر كما هو الحال في الإنجليزية.

<sup>1</sup> Language, by Bloomfield, P. 271.

<sup>2</sup> Ibid P. 280.

<sup>3</sup> فديس: اللغة ، ص 127.

وانخفض هذا التصنيف من نظام ثلاثي إلى ثنائي كما هو في اللغات الرومانسية. فيما حافظت على النظام الثلاثي بعض اللغات، مثل: الألمانية، والسلافية\*.

إن تصنيف التذكير والتأنيث يختلف من لغة إلى أخرى لاعتبارات ثانوية في نظام اللغة ذاتها، فبعض التقسيمات مرده الصغر والكبر، أو القوة والضعف، أو الخشونة واللين.

"في لغة بورما أربع عشرة جهة تقسيمية، فالأشياء تنقسم باعتبار التسطح والفرطحة، والطول، وكونها للنقل، والحيوانات، والمجموعات، والمركبات، والكهنة والسوقة، وفيها اعتبار تقسيمي خاص لأمرأه القصص وأميراته"<sup>1</sup>.

"ويصنف الجنس في لغة Abxaz (وهي إحدى اللغات القوقازية) وفق

ثلاث فئات، هي:

- كائنات حية مذكرة.

- كائنات حية مؤنثة.

- أشياء غير حية.

وتشمل هذه الفئات الثلاث زيادات توافقية معينة، وتتضمن هذه الزيادات: الأمامية، والخلفية والداخلية، ولكن في بعض السياقات، مثل التوافق بين الفعل والاسم يتم تقليص هذه الفئات الثلاث إلى فئتين، هما: الفئة المذكرة، والفئة المؤنثة<sup>2</sup>.

"وتميز لغة الألبونكين (Algonquin) بين جنس حي، وجنس غير حي، ولا يهتما بعد ذلك ما يدخل تحت كل واحد من الجنسين من أشياء، فقد

\* سلافية: لغة تنتمي إلى الفرع السلافي الجنوبي من المجموعة اللطيفية السلافية ضمن العائلة الغندية الأوروبية، وهي من اللغات المنتمية في يوغسلافيا. ينظر: محمد علي الحبول، معجم علم اللغة النظري، ص 260-261.

<sup>1</sup> تمام حسنا: منهج البحث في اللغة، ص 250.

<sup>2</sup> Grammaire Comparée des kabgyes Caucasicques, by Dumézil, pp. 2-3.

تضع الأجنونكين بين الأشياء المدلول عليها بالجنس الحي إلى جانب الحيوان، الأشجار، الأحجار، الشمس، والقمر، والنجوم، والرعد، والتلج، والقمر، والخبز، والولاعة ... .

وتطلق اللغات في الميدان الإفريقي على الجنس اسم "الطبقة"، فاللغات البنطية يسيطر عليها وجود "الطبقات" التي تمتاز كل منها بلاصفة خاصة، وعليها توزع جميع الكلمات الموجودة في اللغة.

ويحل (فندريس) ذلك بأنه محاولة قام بها العقل لتصنيف المعاني المتنوعة التي يُعبر عنها بوساطة الأسماء، وأغلب الظن أن هذا التصنيف يقوم على التصور الذي كان في ذهن السابقين عن العالم، وقد ساعدت عليه بواعث غيبية ودينية<sup>1</sup>.

فالتذكير والتأنيث تطرير اجتماعي، تُدخل تصنيفاته سياقات متباينة المسارب تمتح من تفكير الجماعة اللغوية وتصوراتها عن الكون والأشياء.

### تصنيف الجنس في العربية:

تميز العربية بين الجنس تصنيفاً واصطلاحاً، فالتذكير: "خلاف التأنيث والذكر خلاف الأنثى، والجمع نكور ونكورة، وذُكران، ويوم منكر إذا وصف بالشدة والصعوبة وكثرة القتل.

وقول نَكَر: صلب متين، وشعر نَكَر: فحل ورجل نكر، إذا كان قوياً شجاعاً أنفاً ألبياً، ومطر نكر: شديد وابل ...<sup>2</sup>.

والأنثى خلاف الذكر في كل شيء، والجمع إناث، وأنت: جمع إناث يقال للرجل: أنتت تانيثاً أي أنت له، ولم تشدد.

<sup>1</sup> ينظر فندريس: اللغة، ص 130-132.

<sup>2</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة "نكر".

والتأنيث خلاف التذكير.

وبلد أنيث: لئن سهل، حكاة ابن الأعرابي، وأرض ميثان وأنيثة سهلة مَنبِة. خليفة بالنبات، ليست بغليظة.

وزعم "ابن الأعرابي" أن المرأة إنما سُميت أنثى من البلد الأنيث، قال: لأن المرأة ألين من الرجل، وسُميت أنثى للينها<sup>1</sup>.

فالتذكير تبعاً لذلك معادل للقوة والشدة، والشجاعة، والأنفة والصلابة، أما التأنيث فيلتصق باللين والسهولة، والإنتاج والخصب والإنبات. ويتسق هذا التصور وأنظار النحويين الذين قرروا أن التذكير أصل، والتأنيث ثان، وهذا ما هجس به سيوييه: "الأشياء كلها أصلها التذكير، ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يذكر، فالتذكير أول وهو أشد تمكناً ..."<sup>2</sup>.

لعل هذا الفهم النحوي يترسم قصة الخلق الأولى / خلق آدم، واشتقاق حواء الأنثى من ضلعه، فهما من نفس واحدة وفقاً لما جاء في القرآن: (يا أيها الناس، اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً)<sup>3</sup>.

فكما أن الذكر أول، وهو أصل الخليفة. والأنثى ثانٍ مُجْتَرِح من الذكر، كذلك المذكر في اللغة عمدة الجنس، والمؤنث فرع، وهو محمول على المذكر. لذا ظل المذكر بغير علامة للتذكير، "فليس للتذكير علامة لأنه الأصل، وهو الأول، وإنما ألقوا للمؤنث علامة في الأغلب؛ لأنه فرع التذكير"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة "أنث".

<sup>2</sup> سيوييه: الكنت، 241/3.

<sup>3</sup> سورة النساء: 1.

<sup>4</sup> بظرة: المرد: القُضْب 35/3، فرحامي: مُجْتَرِح في النحو: 291، الزبيدي: قواعد: 223.

**أضرب المذكر والمؤنث:**

يتوزع الجنس في العربية على صنفين رئيسين، هما:

1. الحقيقي  
2. المجازي.

"أما الحقيقي فما كان في الرجل والمرأة، وجميع الحيوان، لأنك لو سميت رجلاً "طلحة" لخبرت عنه كما يخبّر إذا كان اسمه منكرًا، ولو سميت امرأة أو غيرها من إناث الحيوان باسم منكر لخبرت عنها كما كنت تخبّر عنها واسمها مؤنث"<sup>1</sup>.

وهذا الصنف يُعرف قياساً وسماعاً وطبائعاً، كانت فيه علامة التأنيث أو لم تكن.

وقد حدّد المنكر الحقيقي بأنه "ما كان من الحيوان مثل الذكور"<sup>2</sup>.

أما المؤنث الحقيقي فهو "ما بإزائه ذكر في الحيوان"<sup>3</sup>.

لعل معيار العلماء في هذا التصنيف كان منضبطاً واضحاً؛ لأن ذلك مرتبط بالجانب المادي، يقول ابن يعيش: "المؤنث الحقيقي والمنكر الحقيقي معلومان؛ لأنهما محسوسان وذلك ما كان للمنكر فيه فرج خلاف فرج الأنثى، كالرجل والمرأة"<sup>4</sup>.

وفصل "ابن السراج" بأن المؤنث الحقيقي يأتي على ضربين:

- بعلامة

- وغير علامة"<sup>5</sup>.

**والعاري من العلامة يُعرف تأنيثه:**

<sup>1</sup> التوكيد: المنتخب 3/348.

<sup>2</sup> التصيري: القبصرة والتذكير، 613/2.

<sup>3</sup> الزمخشري: المغفل، 237.

<sup>4</sup> ابن يعيش: شرح المغفل، 62/5.

<sup>5</sup> ابن السراج: الأصول في النحو، 407/2.

بالإشارة إلى مسماه في القرب بـ "ذي"، وفي البعد بـ "تلك"، ويساوي الاستدلال بالإشارة الاستدلال بالضمير، وبالوصف، وبالخير، وبالحال، وبسقوط التاء في العدد من الثلاثة إلى العشرة. وبظهور التاء في التصغير إن كان المصغر ثلاثياً<sup>1</sup>.

أما الصنف الثاني: فهو المجازي (المنكر والمؤنث غير الحقيقيين). وهو خلاف ما ذكر آنفاً، إذ لا مميز ولا ضابط ينتظمانه، لأنه لا يدل على ذات حقيقية أو محسوسة، وألحق بالمنكر والمؤنث على سبيل "المجاز"، فهو موقوف على الوضع والاصطلاح.

وهذا الصنف أشكل على اللغويين والنحويين، فأفردوا له المصنفات والرسائل؛ رغبة في ضبطه وتقييده، حتى ليخال للخاطر الأول أن مسألة التنكير والتأنيث قد خصصت للمجازي، فإذا مر اللغويون والنحويون بالمدكر والمؤنث الحقيقيين، مروا سراعاً، ولم يطيلوا المكث في مداورة هذا الضرب، وكان الجنس الحقيقي معلوم من اللغة بالضرورة، وإذا هموا بمعالجة المجازي أفاضوا فيه مقارنة وتعليلاً وتصنيفاً.

ولا تتريب في ذلك، فمعرفة التنكير والتأنيث عُدّة الفصيح، بل تتقدم على معرفة الإعراب في العربية، وهذا ما قرره أبو حاتم المسجستاني: "أول الفصاحة معرفة التأنيث والتنكير في الأسماء والأفعال والنعته قياساً وحكاية، ومعرفة التأنيث والتنكير ألزم من معرفة الإعراب"<sup>2</sup>. وينضاف إلى الصنفين الرئيسين للجنس في العربية: المذكر والمؤنث الحكمي، والمذكر والمؤنث التأويلي.\*

<sup>1</sup> ابن مالك: شرح غماسة للمناظرة وعُدة للاضطرار: ص 826-827.

<sup>2</sup> أبو حاتم المسجستاني: المذكر والمؤنث، 35-36.

- يُعرف المؤنث الحُكْمِي بأنه ما كانت صيغته منكرة، ولكنها أُضيفت إلى مؤنث فاكتسبت التأنيث بسبب الإضافة، كقوله تعالى: (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)<sup>1</sup>، فكلمة "كل" منكرة في أصلها، ولكنها في الآية اكتسبت التأنيث من المضاف إليه المؤنث "نفس"<sup>2</sup>.
- المذكر الحُكْمِي: وهو ما كانت صيغته مؤنثة في أصلها، ولكنها أُضيفت إلى مذكر فاكتسبت التذكير من إضافته إلى اسم مذكر، كقول الشاعر:  
إِنارةَ العِقلِ مكسوفٌ بطوعِ هوى وعقلِ عاصي الهوى يزداد تنويراً<sup>3</sup>  
فكلمة "إنارة" مؤنثة، ولكنها اكتسبت التذكير بإضافتها إلى العقل، فجاءت "مكسوف" منكرة لذلك.
- للمؤنث التأويلي: ما كانت صيغته منكرة في أصلها اللغوي، ولكن يراد لسبب بلاغي تأويلها بكلمة مؤنثة تؤدي معناها، مثال: "أنتي كتاب أسرُّ بها ... يريدون: رسالة"، ومثل قولهم: هذه الحرف: نعت يريدون به الكلمة<sup>4</sup>.
- المذكر التأويلي: ما كانت صيغته مؤنثة في أصلها، ولكن اكتسبت التذكير بتأويلها باسم مذكر، نحو قولك: " (ثلاثة أنفس)، والنفس مؤنثة، ولكن تم تأويلها بالشخص"<sup>5</sup> وهو مذكر.

<sup>1</sup> استمرت مُصطلحي "المذكر الحُكْمِي" و "التأويلي" من: عيسى حسن: النحو الوافي، 589/4.

<sup>2</sup> سورة قن: 21.

<sup>3</sup> كنعاني: فقه اللغة وشرح العربية، ص 332.

<sup>4</sup> البيت بلا نسبة في معنى اللبيب لابن هشام 512/2، وفي الأشباه والنظائر للسيوطي 263/5 : وفي خزنة الأدب البغدادي:

106/5، 227/4.

<sup>5</sup> ابن جني: الخصائص، 418/2.

<sup>6</sup> كنعاني: فقه اللغة وشرح العربية، ص 332 .



### أنظار العلماء في تصنيف الجنس:

لم يقتصر الاهتمام بمسألة التذكير والتأنيث على حقبة دون أخرى، بل ظل الجهد موصولاً قديماً وحديثاً، فبذل السابقون الوُسع كله لمدارستها، وتبعهم جيل من المستشرقين والمحدثين العرب؛ رغبة في استجلاء مسألة الجنس في اللغة، والوقوف إلى كنهها.

إنَّ هذه الإلماعات التي ظفرت بها مسألة الجنس، أسهمت في تنوع الرؤى، وتفسير بعض ما اعتورها. وقد اكتمت هذه المقاربات بمسحة دينية وغيبية، وانتحى بعضها وجهة أسطورية وذهنية مجردة. وأحسب أن عرض بعض ما قيل في المسألة يُجَلِّي بواطنها.

▪ رأي (A. Gury, M. Feghali)

"نشر هذان العالمان الفرنسيان دراسة حول مسألة الجنس في اللغات السامية، اعتمدا فيها أفكار مييه (Meillet) حول تطور الجنس في اللغات الهند أوروبية القائلة: بأنَّ أول تقسيم للأسماء هو تقسيمها إلى حية وغير حية. ويرى العالمان أنَّ فئة الكلمات التي تعود على الأحياء تنقسم إلى مذكر ومؤنث، وأنَّ الفئة العائدة على غير الأحياء أصبح معظمها مؤنثاً، لكن بعضها احتفظ بالتذكير.

ويذهب هذان العالمان إلى أنَّ جميع التطورات هذه حدثت قبل أن تنقسم السامية إلى لغات مفردة<sup>1</sup>.

▪ رأي (E. A. Sepeiser)

يقرّر (سبيزر) في مقاله حول دراسات في الأنماط السامية: "أنَّ ضمائر الاستفهام محتفظة بالصورة للغات السامية، فضمير الاستفهام للشخص

<sup>1</sup> Grammatical Gender, by, M.H. Ibrahim, PP. 42-43.

هو ضمير واحد، وذو شكل واحد كذلك للمذكر والمؤنث، ففي الضمائر الشخصية لا يوجد تفریق في الجنسين عندما يكون الضمير هو ضمير المتكلم؛ لأنّ جنس المتكلم واضح في جميع الأوقات للمستمعين<sup>1</sup>.

▪ رأي (Louis. H. Gray)

يذكر "لويس. هـ. جراي" أنه يوجد نوعان فقط من الجنس على امتداد الحقبة الزمنية للغات السامية، وفي أغلب الأحيان فإنّ ذكور الكائنات الحية الفعّالة والأشياء التي يأخذها العقل الفطري بعين الرعاية مذكّرة، ومن وجهة أخرى فإنّ إناث الكائنات الحية والأشياء التي تُعْدها الفطرة أنثى كذلك الأسماء المجردة وصيغ التحقير...<sup>2</sup>.

"ويبدو أنّ ملازمة اللواحق للأنثى إشارة إلى كونه كائناً غير نشيط في ذاته، لا بل غامض واعم، وغير مكتسب أي فعالية. أمّا الاسم المنكّر فيُعْده كائناً حياً نشيطاً.

وتوزع "المحايد" طبقاً لهذه النظرة. فما هو سلبي يُنصَق بالكائنات الأنثوية؛ لأنّ السلبية إحدى خصائص الإناث، مقارنةً بنشاط الذكر (أي أنّ الأنثى لم يكن يشار إليها بالطريقة التي يشار فيها إلى الذكر بسبب نشاطه ومكانته في المجتمع)<sup>3</sup>.

▪ رأي (Albrecht)

يرى الباحث الألماني بالساميات "ألبريخت" أنّ التنكير يتم إطلاقه في العبرية، واللغات الأخرى، على كل شيء خطر، ومتوحش وشجاع، ومحترم،

<sup>1</sup> Studies in Semitic Formatives, by E.A. Sepeiser, P. 33.

<sup>2</sup> An Introduction to Semitic Comparative Linguistics, by Louis. H. Gray. P. 48.

<sup>3</sup> Ibid, PP. 50-51.

وعظيم وقوي، وذي نفوذ. فيما يُطلق التأنيث على ما هو أمومي، وإنتاجي، ومتورد، ولطيف، وضعيف<sup>1</sup>.

▪ رأي (Moscati)

يذكر "موسكاتي" أن تمييز اللغات السامية بين نوعين من الجنس: المنكر والمؤنث، وأن الذكر لا يصحبه مقطع خاص يوضع في نهايته، كما هو الحال في المؤنث، إن هذا التمييز يعزز الاحتمال بأن أصل ذلك عائد إلى نظام الطبقات<sup>2</sup>.

▪ رأي (Wensinck)

يعتقد "فنسينك" أن اللغات السامية حين خلعت على بعض الأسماء فكرة التأنيث إنما تأثرت في هذا بعوامل دينية، وبأخرى مرجعها التقاليد والمعتقدات العامة التي جعلت الساميين في قديم الزمان يرون أن في المرأة غموضاً وسحراً، وينسبون لها من القوى الخارقة ما لم يخطر ببال من جاءوا بعدهم، ثم ضموا إلى المرأة كل الظواهر الطبيعية التي خفي عليهم تفسيرها<sup>3</sup>.

يُلاحظ من آراء المستشرق أنما تكوكت حول مفاصل رئيسة هي:

- أن الساميين صنفوا المذكر والمؤنث بجامع الفعالية أو السلبية.
- تأثر الساميون في تصنيفهم للجنس بنظام الطبقات.
- كان للسحر والعوامل الدينية تأثير في توزيع الجنس على الكائنات.
- ارتبط التصنيف عند الساميين بالخيال الفعال والنشيط.

<sup>1</sup> Hebrew Grammar, by E. Kantsch, Gesenius, P. 391.

<sup>2</sup> An Introduction to the Comparative Grammar of the Semite Language, P 84.

<sup>3</sup> إرفعيم أيسر: من أسرار اللغة، ص 148.

أحسب أن المستشرقين قد صدروا في طروحاتهم هذه عمّا أجروه من دراسات (الإناسة) للغات الهندوأوروبية، ومن ثم أسقطت هذه النتائج على اللغات السامية مظنة العمق والمساكلة، بيد أن مسيرة الإنسان في الأحقاب السالفة لم تتطابق لدى جميع الأمم، بل اختلفت في نواح تبعاً لعوامل الزمان والمكان، وهذا ما تقرّره دراسات الإناسة.

يرى (البريخت) أن الساميين أطلقوا التذكير على كل شيء خطر ومتوحش ... والتأنيث على كل شيء أمومي، وإنتاجي، وضعيف ...

يبدو الرأي طريفاً للخاطر الأول، ولكنه لا يطرد، فهناك كلمات كثيرة تدل على الوحشية والقوة والخطورة ارتبطت بالمؤنث، كالحرب، والصحراء والسلاح.

أما من أحال التقسيم عند الساميين على أساس الطبقات وأقل القيمة، فإنّ مزيداً من لطف النظر في حفريات المعرفة (أركيولوجيا المعرفة) لدى الساميين عامة وللعرب خاصة يقفنا إلى أن هذه الأقوام قد مرّت بالمرحلة الأمومية (المتريكية)، إذ طغت الأنثى على عبادة الذكر، فهي التي اكتشفت الزراعة في العصور الحجرية الوسيطة، وهي التي كانت تنهض بأعبائها في بادئ الأمر؛ كونها أكثر التصاقاً بالأرض من الرجل الذي كان يسعى وراء الطرائد.

وتمدّنا البيانات الأثرية في المشرق العربي بأدلة على مركز الأم في هذه المجتمعات، وكيف أن الإله الذكر ظل خاضعاً للآلهة الكبرى، "لأن مفهوم الأبوة كان ما يزال غامضاً مع غموض الرجل في عملية التلقيح ..."<sup>1</sup>.

فكيف ارتبطت - كما رأى بعض المستشرقين - المرأة ولولحق التأنيث بأقل القيمة، وقد انتسب عرب ما قبل الإسلام إلى قبائل سمّيت بأسماء مؤنثة؟. بئس إن كثيراً من آلهتهم كانت مؤنثة كاللآت، والعزى، ومناة.

<sup>1</sup> ينظر: علي الشوندي: مؤنثة في أقاليم اللغة والأسطورة، ص 8-15.

- The Sacred Mushroom and the Cross, by John Allegro, P.24.

لم تنفرد الأنثى باللواحق، بل التصقت بكثير من المفردات التي أدت دلالة المذكر نحو: "رجل أمانة (يأمن الناس). وضحكة (يضحك من الناس) وهزأة، وهنرة، ولومة ..."<sup>1</sup>.

أحال بعض المستشرقين التصنيف إلى السحر والغموض اللذين يكتنفان المرأة، فخلع على كل غامض وخفي صيغة التأنيث، فأبي غموض يَعْتَوِرُ الأرض التي نتعاطاها صباح مساء، فألفناها وألفتنا؟. ولماذا لم يطلق الساميون - تأسياً بهذه الوجهة - التأنيث على البحر، والإعصار والجبال، والرعد، والبرق؟.

لعل هذا الانشعاب في تفسير الظاهرة صادر عن عدم التناغم بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، واقتصار اللغات السامية على صنفين رئيسين لتصنيف الجنس.

أشرت في البدء أن مسألة الجنس حظيت بأنظار عديدة قديماً وحديثاً، وقد أومات إلى جهود السابقين والمستشرقين، ولعل عرضاً لبعض جهود المحدثين العرب يُحقِّق ما نهجس به "بأن مسألة الجنس قد حظيت باهتمام ورعاية من الدارسين عبّر تراسل الدهور".

#### ■ رأي إبراهيم أنيس:

يتلخص رأي إبراهيم أنيس في "أن ظاهرة التأنيث والتنكير تتجه نحو الصلة العقلية بين الأسماء ومحلولاتها. فالأسماء المجازية في العربية تميل في تطورها إلى الاستقرار، مثل: الطريق، والعسل، والروح، والخمر.

ويؤيد ذلك اللغات السامية، إذ إن بعض الكلمات كانت في الأصل مؤنثة ثم أصبحت مجازية التنكير والتأنيث، كالشمس في العبرية والآرامية<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص. 567-592.

ذهب إبراهيم أنيس إلى أن التطور في ظاهرة التأنيث يتجه نحو الصلة العقلية المنطقية، فأين المنطق حينما تتباين اللغات داخل الأسرة الواحدة - كاللغات السامية- حول العديد من المسميات؟ فالقمر في العربية مذكر، وفي العبرية مؤنث والحرثة مؤنثة في العربية، مذكّرة في السريانية، والبقر في العبرية يذكر ويؤنث أما العربية فتذكرها، والسريانية تؤنثها.

ما ذكره إبراهيم أنيس أن استقرار الحال على التذكير، لا يُؤخذ على إطلاقه، فإذا كانت الخمر، والطريق، والسكين ... وغيرها من الألفاظ يجوز فيها التذكير والتأنيث، فإن العامة تستعملها استعمالاً آخر، فتقول: هذه خمرة لذينة، وطريق وعرة، وسكينة حادة.

■ رأي عصام نور الدين:

قدّم عصام نور الدين عدداً من المصنفات عُنيت بمسألة الجنس في العربية، نحو: "مميزات التذكير والتأنيث"، و"مصطلح التذكير والتأنيث"، و"مصطلح المحايد" ... يذكر عصام نور الدين في أثناء حديثه عن "المحايد": "العائق: يذُكر (ابن جني) الوجهين، ولكنه يقدّم التذكير بقوله: العائق يذُكر ويؤنث، ومع ذلك فأنا أذهب إلى أن التذكير هو الأصل، أما التأنيث فدفع بعضهم إلى القول به انحرافاً لغوياً قاله أحد الفصحاء، أو أن بعضهم ادّعاء ليسوغ زلة لسان، أو خطأ وقع فيه، فالوجه أن يُستعمل التذكير، ويُهمل التأنيث.

أما التأنيث فلا يعدو كونه لغوية، أو انحرافاً لغوياً لا يُعتدّ به، حتى لو كان صحيحاً فيجب عدم الوقوف عنده لمخالفته روح اللغة واتجاهها التطوري.

<sup>1</sup> يظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 146 - ص 147.

والقفا ينكر ويؤنث: لكن قارئ المادة في نصوص اللغويين، يرى أن التذكير هو الأصل، وأن التأنيث هو لهجة وإن شئت هو انحراف لغوي لقبيلة لا يعتد بكلامها...

يخلص الباحث إلى القول: فمذهب اللغة التطوري كما نفترضه يذهب إلى التذكير، ولا يعتد بالتأنيث الذي إن وجد فلا يعدو كونه انحرافاً لغوياً لا تبنى عليه قاعدة ... عدا ما قد يقع باللغة من الغموض والاضطراب في حال الأخذ به ...<sup>1</sup>.

يصدر عصام نور الدين في وجهته عن مقولة تقرّر أصالة التذكير للمحايد (المجازي من المذكر والمؤنث)، وأن التأنيث شذوذ عن القاعدة. لو صح ما انتحاه الباحث، فلم عنى السابقون واللاحقون أنفسهم في البحث والتتقير للخلوص بضابط جامع، أو معيار مطرد للمجازي من المذكر والمؤنث (المحايد)؟

أظن أن حسم ما أشكل من ظواهر يقتضي تروياً وأناة، فكيف يعتد عصام نور الدين التأنيث انحرافاً لغوياً، أو هو لغية، وقد جاء على لسان قبيلة "عكل" وهي من القبائل الفصيحة التي يستشهد بكلامها في الدرس اللغوي. ما نكره الباحث باستقرار المحايد على التذكير، ومثل على ذلك بالعائق والقفا، لا يتطابق والواقع اللغوي.

ذكر الأصمعي: "القفا مؤنثة، ولا ينكرها أحد"<sup>2</sup>.

ومن العلماء من أجاز التذكير والتأنيث، ولم يرجح وجهاً دون آخر. لقد قمت بإحصاء للمذكر والمؤنث المجازيين في كتب التذكير والتأنيث، وانتهيت إلى عدد من الإشارات:

<sup>1</sup> عصام نور الدين: "أغابيد" أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان، مجلة دراسات عربية، ج (7-8) 1988، ص 32-34.

<sup>2</sup> السمعاني: المذكر والمؤنث، ص 113.

49 مفردة	- ما يذكر من أعضاء الإنسان
56 مفردة	- ما يؤنث من أعضاء الإنسان
19 مفردة	- ما يذكر ويؤنث من أعضاء الإنسان
58 مفردة	- ما يذكر من مائر الأشياء
108 مفردة	- ما يؤنث من مائر الأشياء
91 مفردة	- ما يؤنث ويذكر من مائر الأشياء

فهل بمكنتنا رد 164 مفردة مؤنثة، وعدّها انحرافاً لغوياً على الرغم من أنها سمعت من عرب فصحاء؟ فالرغبة في التيسير غاية ترضى، بيد أنها معجزة المؤونة ما لم تتسق والواقع اللغوي، فمنهج اللغة التطوري ينطلق من روح اللغة وواقعها، وينأى عن الانطباع المجرد.

#### الجنس الطبيعي والجنس اللغوي:

قسّمت العربية انجنس إلى مذكر ومؤنث، وما لم تنتظم في المذكر والمؤنث الحقيقيين وزع كذلك على المذكر والمؤنث. وأفضت هذه الطريقة إلى فوضى واضطراب؛ لأنّ التذكير والتأنيث من خصائص الأحياء، فإذ أطلق على غير ذلك فعلى سبيل المجاز، ذكر ابن رشد:

"التذكير والتأنيث في المعاني إنما يوجد في الحيوان، ثم قد يتجوّز في ذلك في بعض الألسنة فيعبّر عن بعض الموجودات بالألفاظ التي أشكالها أشكال مؤنثة، وعن بعضها بالتّي أشكالها أشكال مذكرة. وفي بعض الألسنة ليس يُلَفَى فيه للمذكر والمؤنث شكل خاص، كمثل ما حكى أنه يوجد في لسان



الفرس، وهذا يوجد في الأسماء والحروف، وقد يوجد في بعض الألسنة أسماء هي وسط بين المذكر والمؤنث، على ما حكى أنه يوجد كذلك في اليونانية<sup>1</sup>. إن اقتصار اللغة على جنسين وحسب قد أعقب إشكالا خالط هذه المسألة، لذا تباينت آراء الدارسين حول هذا الضرب من الأسماء، فمنهم من قال بتذكير لفظة ماء، ومنهم من مال إلى تأنيثها، وبعضهم أجاز الوجهين، وكل فريق يستند فيما ذهب إليه على ما روي عن العرب.

- فالأضحى: تذكره قيس عيلان. وتؤنثه تميم. قال الفراء: "اجتمع عندي أعرابيان مسنان قيسي وتميمي، وقد جاوز كل منهما التسعين فسألتهما عن الأضحى، فقال التميمي: ننت الأضحى. وقال القيسي: دنا الأضحى"<sup>2</sup>.

- الثمر: تميم تقول هو الثمر فتذكر، وأهل الحجاز يقولون هي الثمر فتؤنث.

- السوق: جاء في الصحاح: "قال الأخفش: أهل الحجاز يؤنثون الطريق والسراط، والسبيل، والسوق، والزقاق، والكلاء - وهو سوق البصرة - وبنو تميم يذكرون هذا كله"<sup>3</sup>.

- الشعير: يذكره أهل نجد، ويؤنثه غيرهم<sup>4</sup>.

- العنق: تميم وربيعة يقولون: هو العنق بضم العين وإسكان النون، وأهل الحجاز يقولون: هي العنق بضم العين والنون، وبنو أسد يقولون: هو العنق بضم العين والنون ويذكرون<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن رشد: تلخيص الخطابة، 275.

<sup>2</sup> ابن السيد البطيوسي: الخلل في إصلاح الخلل، 43/1.

<sup>3</sup> الجوهري: الصحاح مادة "سوق".

<sup>4</sup> ابن النسفي: الفذكر والمؤنث، ص 86.

<sup>5</sup> الفراء: المذكر والمؤنث، ص 73.

أرى أن انتفاء صفة الذكورة والأنوثة الحقيقيتين عن هذه الألفاظ وغيرها أفضى إلى حالة من التشرذم والتشظي، وقد صرح بذلك الفراء "العرب تجترئ على تذكير المؤنث، إذا لم تكن فيه الهاء"<sup>1</sup>.

لم يكن التباين اللهجي في تصنيف الجنس وقفاً على العربية، بل نلاحظ هذه الظاهرة في اللغات السامية، فما العلة التي جعلت الشمس مؤنثة، والقمر مذكراً كما في العربية؟ على الرغم من تأنيث العبرية للشمس تارة وتذكيرها تارة أخرى sémes ، أما القمر في العبرية فمؤنث libana.

والشمس في الأكادية مذكرة šamša، وكذلك في الآرامية.

والبطن في العربية مذكر، وفي العبرية مؤنث béten.

والكبد في العربية مؤنث، وكذلك في السريانية kabdā، لكنه في العبرية مذكر kabed<sup>2</sup>.

إن هذا التباين بين الأسرة اللغوية الواحدة، أسهم في ورود ألفاظ في هذه اللغات تؤنث وتذكر في الآن ذاته.

<sup>1</sup> الفراء: المذكر والمؤنث، ص 81.

<sup>2</sup> "أورد أبو حيان الفوسنجي سؤالاً حول علة تأنيث العرب للشمس وتذكورهم للقمر واتعلق المتحيرين علي عكس ذلك وهو تذكور الشمس وتأنث القمر فأجابه مكره بقوله: "أما النحويون فلا يفعلون هذه الأمور، ويذكرون أن قسيء المذكر بالحقبة ربما أتت العرب والمؤنث بالحقبة ربما ذكرت العرب، فمن ذلك أن الآلة من الرثة بعينها التي هي سب تأنيث كل ما يؤنث هي مذكر عند العرب، وأما آلة الرجل فلها أسماء مؤنثة، ولكن الشمس التي قصد السائل قصدها بعينها، فإن أنظر السب في تأنيث العرب ليلها أنهم كانوا يعتقدون في الكواكب الشريفة لها بنت الله - تبارك الله عن ذلك علواً كبيراً - وكل ما كان منها أشرف عندهم عليه، وقد سُموا الشمس عطية باسم الآلة، فإن الآلة اسم من اسمتها فيحوز أن يكونوا أنتموها لهذا الاسم، ولاعتقادهم لها بنت من البات، بل هي أعظمهن عندهم". الفرائد والشواهد - ص 266-268.

<sup>2</sup> ينظر: مجموعة من المؤلفين: نحو اللغات السامية، ترجمة مهدي الخزومي وعبد الجبار المطلي، ص 145 - ص 148.

ففي العربية فيض من الألفاظ تذكر وتؤنث نحو:

- الأنعام: قال يونس والأخفش، وأبو بكر بن الأنباري<sup>1</sup>، وأبو البركات الأنباري<sup>2</sup> إن الأنعام تذكر وتؤنث.
- الجحيم: هو النار المتلظية، قالوا: الجحيم: يذكر ويؤنث<sup>3</sup>.
- السبيل: يذكر ويؤنث<sup>4</sup>.
- السنطان: يذكر ويؤنث<sup>5</sup>.
- الصراط: أهل الحجاز يؤنثون الصراط، وبنو تميم يذكرونها<sup>6</sup>.

وفي العبرية ألفاظ تذكر وتؤنث<sup>7</sup>، منها:

روح وريح	rūwah
طريق	déreh
عظم	ēsem
دراجة	ofannāyim
شارع	rihōb
جيش	maḥanch
جهنم، ضريح	šī' ōl

<sup>1</sup> المذكر والمؤنث، ص 346.

<sup>2</sup> البتة في الفرق بين المذكر والمؤنث، ص 68.

<sup>3</sup> أبو بكر بن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 371.

<sup>4</sup> القفص بن سلمة: مختصر المذكر والمؤنث، ص 56.

<sup>5</sup> ابن سيده: المخصص: 17/ ص 15.

<sup>6</sup> الأخفش: معاني القرآن 1/ ص 17.

<sup>7</sup> See: An Introduction to Semitic Comparative Linguistics, by Gray, PP 48-52.

ونجد هذه الظاهرة في الآرامية<sup>1</sup>، نحو:

هواء	ḥār
سيف، حرب	herbā
قمر	oehrā
روح	ruhā
سما	semiā

وتشارك السريانية غيرها من اللغات السامية في هذه الظاهرة<sup>2</sup>، مثل:

الروح	rūhā
الشمس	šimšā
القوس	kištā
السما	smayā
الجمل	gamlā

لعل ما رشح من هذه الإلماعات يفضي إلى أن اللغة لا تسير وفق منطق عقلي في تعاملها مع الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، مما دعا إلى جمع هذه الألفاظ - التي لا تنتظمها قاعدة - في رسائل ومختصرات حتى تؤخذ رواية وسماعاً؛ لأن الإمام بهذه الألفاظ عدة الألفاظ وشرط من شروط الفصاحة، وهو من تمام معرفة النحو والإعراب. ذكر أبو بكر بن الأنباري:

<sup>1</sup> ينظر: يعقوب كوجين، «ناه الأسول للجلبة في نحو اللغة الآرامية»، ص 14-15.

<sup>2</sup> ينظر: إسماعيل عميرة، «ظاهرة التأنيث في اللغة العربية واللغات السامية»، ص 20.

"إنّ من تمام معرفة النحو والأعراب معرفة المنكّر والمؤنث لأنّ من ذكر مؤنثاً أو أنث منكرّاً كان العيب لازماً له كلزومه من نصب مرفوعاً أو خفض منصوباً أو نصب مخفوضاً..."<sup>1</sup>.

تقد اشكلت الألفاظ المجازية في مسألة الجنس على الدارسين؛ لغياب الصلة المادية بينها وبين الجنس النحوي، مما دفع المستشرق "وليم رايت" إلى أفراد صنف ثالث يضم المحايد من الألفاظ، فهو يقسم الجنس في العربية إلى ثلاثة أقسام: مذكّر ومؤنث، وأسماء تذكّر وتؤنث، وهو ما يدعى بالمشترك الجنسي، وفي اللغات السامية أسماء يطلق عليها المحايد"<sup>2</sup>.

ما هجس به "وليم رايت" يعضد المقولة الأنفة أنّ الجنس النحوي لا يصلح ولا يدل دلالة طبيعية أو عقلية على الجنس الطبيعي.

فلا طائل من الإيغال في بحث ماهية التذكير والتأنيث المجازيين؛ لغياب القرائن الموصلة إلى الحقائق، وكان يتعين أن يقرّد لهذا النوع من الألفاظ قسم خاص يسمى بالمحايد، ينتظم المنكّر والمؤنث المجازيين؛ رفعاً للبس، وأدعى للتقعيد.

<sup>1</sup> المنكّر والمؤنث، ص 87.

<sup>2</sup> The grammar of the Arabic Language, by, W. Wright, P. 1/177.

## الثقافة، اللغة، التحيز:

شغلت الثنائيات الوجودية قسطاً وثيراً من النظر والدرس، فأولها الإنسان منذ البداء عنايته تحت مسميات عديدة وأشكال متنوعة، منها الأسطوري والفلسفي، ومنها الاجتماعي. فصار يستبطن عوالمها لاكتناء هذه المعادلة المتكاملة تارة، والمتباينة تارة أخرى.

وربما كانت ثنائية الذكر/ والأنثى من أكثر القضايا إلحاحاً في التفكير والمناقشة، وستظل تملأ الدنيا وتشغل الناس ما بقي التنافس؛ لانطوائها على تداعيات ماضوية، فقد رافقت وجود الإنسان، وأخذت بالتنامي والتشابك لالتباس مفرداتها، وتباين الشريكين في رؤية كل منهما للأخر، وطبيعة الدور المنوط بهما في صياغة الحياة.

لأجل ذلك برزت قضية "التحيز الجنسي"، وتراحت الدراسات النسوية في سياق تخصصات معرفية متنوعة؛ لتعديل المنطلقات السائدة والأفكار المستكينة عن الذكورة والأنوثة. وتكمن أهمية المراجعة في أنها لا تستقرىء قضية نصف المجتمع، وإنما قضية المجتمع كله منظوراً إليها من زاوية الصياغة الثقافية لمفهوم الجنسين والعلاقة بينهما.

لم تقتصر هذه الدراسات على علم دون آخر، بل انبرت علوم عديدة لبحث هذه الإشكالية، فعاينها علماء اللغة، والاجتماع والإناسة، وانضم إليهم علماء النفس والتربية، والأسلوبية والنقد الأدبي، ولعل ما أذكى هذه القضية هو نهوض حركات نسوية تسعى إلى إقامة المساواة بين الجنسين<sup>1</sup>، وتسليط الضوء على الحيف الذي أعقبته الدهور تجاه المرأة.

<sup>1</sup> يُقَر: أحمد محار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص8.

وصاحب الاهتمام بتحرير المرأة العناية بلغتها ورصد الفروق اللغوية بين الجنسين، والوقوف على معالم الجنوسة<sup>7</sup> بوصفها عاملاً تحليلياً يكشف الفرضيات المتحيزة في فكر الثقافة عموماً والغربية خصوصاً.

رأت الحركات النسوية أن التحيز للذكورة مكن الرجال من السيطرة على الأعمال المهمة والوظائف المتحكمة، ومحاولة إقصاء المرأة عن المنافسة، مما حرّمها من فرصة الظهور العام، ومنعها من الحضور في عالم الشهود لتشكيل الواقع، فطلت ثاوية على حواف الذاكرة، فإنّ همت بالتفكير فعقلها خداج، وإنّ طمحت فإنجازها منزوع القيمة والأهمية، وإنّ تحدثت فكلامها ثرثرة ولغو.

إنّ هذا الترسيم لأدوار الذكر والأنثى ليس من تبعه الحاضر، بل هو وليد الفكر الإنساني عبر ركاه المعرفي، فقد أطبقت المجتمعات على تفضيل الذكر على الأنثى، واصطیغت بهذا الاعتقاد الأنظار الفكرية، ولا سيما التصنيفات اللغوية، فقسمت الجنس إلى مذكر ومؤنث، واتخذت من الذكر أصلاً للمؤنث.

ويُستشفّ من هذا التقسيم خفايا تتجاوز حدود اللغة، لتمتد في سندها إلى بدء التكوين وباكورة الخلق. "فالأصل والفرعية" التي اتكأت عليها الأجيال للتعاطي مع الجنسين ليست منفصلة عن قصة خلق آدم، واشتقاق حواء من ضلعه، فهذه القصة وما أسبغ عليها من تحويرات أسطورية

<sup>7</sup> الجنوسة: يعود المفهوم في أصله إلى مصطلح لغوي السوي الذي يشير إلى تقسيم ضمني في النحو القواعدي اللغوي. إذ هو في اللغات الغربية المسماة اليوم مشتق من المفردة قلايبية التي تعني النوع أو الأصل (genus) ثم تمايز سلباً عبر اللغة الفرنسية في مفردة (gender) التي تعني أيضاً النوع أو الجنس، وتمحورت حوله - بعد ذلك - الدراسات السوية في المجالات كافة السببية والاجتماعية والانفعالية واللغوية والدينية... ، وأهل الحركة الأسلمية مثل هذه الدراسات الدعوة التحررية التي تساهم الحركات السوية في تركيزها على مفهوم الجنوسة، لكشف الفرضيات المتحيزة المسقة في فكر الثقافة عموماً والغربية خصوصاً. انظر: ميجان الرويلي، وسعد البراعي: دليل الناقد الأدبي، ص 83-85.

وتوراتية تُعَدُّ المرجع المؤسس لأنوار الجنسين في الحياة منذ طفولة البشرية حتى عصر الانفجار المعرفي.

لذا أرى أن في استدعاء هذه القصة تجلية لماهية العلاقة بين الذكر والأنثى. تَنكَّر التوراة: " أَنْ الرب الإله خَبِل آدم من تراب الأرض، ونبغ فيه نسمة حية، فأخذه ووضعها في جنة عدن"<sup>1</sup>.

"وقال الرب الإله ليس جيداً أَنْ يكون آدم وحده، فأصنع له معيناً نظيره، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه، وملاً مكانها لحماً، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي، هذه تدعى حواء امرأة؛ لأنها من امرئ أخذت"<sup>2</sup>.

"وكان الرب الإله منح آدم وحواء أَنْ يأكلا من شجر الجنة فأكتهما، وألاً يقربا من شجرة معينة، فلما أراد إبليس أن يستذلها نخل في جوف الحية، فقال لحواء على لسان الحية: ألم يحظر عليكما الله أكل الفاكهة؟ أجابتها حواء: كلا، بل نصحتنا بالابتعاد عن شجرة معينة في وسط الجنة، وإلا كانت عاقبتنا الموت، قالت الحية/ الشيطان: إنن فقد خذلكما الله؛ لأن ثمرها لا يسبب الموت بل يُورث الحكمة، إنه يريد أن يبيكما في جهل مُطَبَّق، واقتنعت حواء بأكل الفاكهة، ومارست الإغراء الجنسي لإقناع آدم بأكل الفاكهة"<sup>3</sup>.

وتتابع الرواية التوراتية صياغتها لخروج آدم وحواء من الجنة:

"بعد أَنْ تناول آدم وحواء من ثمرة المعرفة نظر كل منهما إلى الآخر، فأدركا في الحال أنهما عريانان، عند ذلك قطعاً أوراق الجنة ليصنعا منها لباساً

<sup>1</sup> سفر التكوين، الإصحاح 16/2.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الإصحاح 16/2-24.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 1/3-6.



لهما، فنادى الرب الإله يا آدم، أين أنت؟ قال آدم: أنا هنا يا رب، قال الأ  
تخرج؟ قال أستحي منك يا رب، فسأله الرب ومن أخبرك أنك عريان. هل  
أكلت من ثمر الشجرة المحرمة؟ فقال آدم: أعطتني حواء من ثمر الجنة فأكلت،  
فقال الرب الإله:

يا حواء أنت غررت عيدي، فإني لا تحمليه حملاً إلا كرهاً، فإذا أردت أن  
تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً، تلدين أولاداً، وإلى  
زوجك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك.

وقال لآدم: لأنك سمعت أقوال امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا  
تأكل منها؛ ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك  
وشوكاً وخسكاً تثبت لك، وتأكل عشب الحقل، حتى تعود إلى الأرض  
التي أخذت منها؛ لأنك تراب، وإلى تراب تعود...<sup>1</sup>

إن مقارنة جوانية لقصة التكوين - حسب الصياغة التوراتية - يقفنا إلى  
جملة من الإلماعات تتمثل في أن الأسطورة التوراتية تحمل تعليلاً لجملة من  
الطبائع الملازمة للمرأة، فهي معادل موضوعي للمكر، والدهاء، والخطيئة،  
وهي التي أوقعت الرجل البريء بحبانها، فمارست إغواءها الجنسي لتحقيق  
مآربها. ويبرز الجنس سلاحاً ملحقاً بالمرأة، لا مناص عنه لكسب معاركها.

- خروج آدم من الجنة - حسب الصياغة التوراتية - سببه المرأة، لذا  
حُمِلت خطيئة البشرية، فلولا حواء لم تخُنْ أنثى زوجها الدهر كله.  
- اقترنت المرأة بالحيّة، وهي دلالة رمزية بين حواء التي اشتقت من  
حي، والحيّة رمز الخبث والدهاء، فكلنا اللفظتين تنضوي تحت جنر  
واحد "حي".

<sup>1</sup> سفر التكوين: 20/3-21، وينظر أيضاً: الطوري، جامع البيان في أحكام القرآن 335/1-337.

- ثمة ملاحظ توميّ إليه الصياغة التوراتية هو تقسيم الأدوار بين الجنسين، فالرجل كما قرّر - إله التوراة- هو سيد المرأة ومآلها، والمرأة موقوفة على الإنجاب وتحمل المشاق؛ تكفيراً عن الخطيئة التي أقدمت عليها، فلولا حواء ما حاضت امرأة، ولا اقتربت أنثى فاحشة.

- ابن المرأة - وفقّ الأسطورة التوراتية- هي قرين الشيطان، وسلاحه الأمضى؛ لذا رُشِّح في المِخْيَال الشعبي أنّ النساء حياكل الشيطان، وما آيس الشيطان من شيء إلا أتاه من النساء.

- وما يُستشعر من الصياغة الأسطورية هو قسوة الإله، فهو لا يقصُر عقابه على آدم وحواء، بل يُحلّ العقوبة على نزاريهما من بعد، فضرب اللعنة على المرأة أينما حلّت؛ لأنها سبب شقاء الإنسان.

ولعل هذه الأسطورة أفضت بالقديس (ترتولين) إلى القول:

"يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكنّ ولجنسكّن عامة، لذا يجب أن يبقى في نسلكنّ الشر والحقد. أنتنّ أيتها النساء مدخل للشيطان، اللاتي قطعنّ من ثمار الشجرة الممنوعة، أنقن حطمتنّ القانون الرباني، أنقن اللاتي خدعتنّ آدم؛ وذلك قبل أن يبدأ الشيطان حملته، أنتنّ اللاتي أضعتنّ أسماء الله بسهولة كاملة. إنّ شقاء الموت يرجع لملككنّ القبيح، وحتى موت ابن الله يرجع لملككنّ الشنيع"<sup>1</sup>.

أسهمت الأسطورة التوراتية في صياغة الرؤى حول الرجل والمرأة فيما بعد، وكأنها ناموس رباني راتب، وهذا ما نلمحه في الأبيات الدينية والشعبية، ففي رسالة بولص لأهل كورنثوس مُسّحة توراتية عن العلاقة بين الجنسين، يقول بولص:

<sup>1</sup> لمل انبسي: المرأة في فلاح الأديان، مجد تاكي، منشورات لمانعة عمان الكبرى، ع6، صيف 2001، ص8.

"الرَّجُلُ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ، الرَّجُلُ لَمْ يَخْلُقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ"<sup>1</sup>.

وفي الرسالة نفسها بنكر: لتصمت نساؤكم في الكنائس؛ لأنه ليس مآذوناً لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول التاموس أيضاً.

"أَيْتِهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا هُوَ الْمَسِيحُ أَيْضاً رَأْسُ الْكَنِيسَةِ"<sup>2</sup>.

هكذا حُدِّدَتِ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ السَّيْطْرَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ، فَالرَّجُلُ رَأْسُ الْمَرْأَةِ، لِأَنَّهُ الْأَقْدَرُ عَلَى التَّمْيِيزِ وَالتَّكْبِيرِ، أَمَّا الْمَرْأَةُ فَيُنْحَصِرُ دَوْرُهَا فِي الْإِشْبَاعِ الْجَنْسِيِّ، وَتَرْتِيبِ شُؤُونِ الْمَوْسَسَةِ لِاسْتِمْرَارِيَّةِ النَّوْعِ، فَكَذَا نِدَاءُ الطَّبِيعَةِ يَقْرُرُ، عَلَيْهَا أَنْ تَخْضَعُ وَتَصْمِتَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ شَرْطَ ذَكَوْرِيٍّ، لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَخْتَرِقَهُ، فَهَذَا الدَّوْرُ -حَسَبَ تِلْكَ الْأَسْطُورَةِ- مَرْغُوبٌ مِنَ السَّمَاءِ، مُتَّبِقٌ وَطَبِيعٌ كَمَا قَرَّرَ (أَرْسَطُو):

"الطَّبِيعُ هُوَ الَّذِي عَيَّنَ الْمَرْكَزَ الْخَاصَّ لِلْمَرْأَةِ وَالْعَبْدِ .

لَعَلَّ هَذِهِ الْمَقُولَةُ أخطرُ مِنْ سَابِقَتِهَا، إِذْ تَقُولُ الْأَدِيَانُ - مَا خِلا الْإِسْلَامِ-: إِنَّ الرَّبَّ هُوَ الَّذِي حَدَّدَ الْمَرْكَزَ لِلْمَرْأَةِ، فَالرَّبُّ مَقُولَةٌ اعْتِقَادِيَّةٌ، أَمَّا الطَّبِيعُ فَمَقُولَةٌ جَوْهَرِيَّةٌ، فَجَعَلَ الْمَرْكَزَ الْمُنْتَدِيَّ لِلْمَرْأَةِ مِنْ عَمَلِ الطَّبِيعِ يُوَثِّرُ فِي التَّفَكِيرِ الْفَلْسَافِيِّ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقُولَةِ اللَّاهُوتِيَّةِ"<sup>3</sup>.

عَلَى الرَّغْمِ مِمَّا أَشَاعَتْهُ الْأَسْطُورَةُ التَّوْرَاتِيَّةُ مِنْ ظَلَالٍ عَلَى التَّرَاثِ الْمَسِيحِيِّ، إِلَّا أَنَّ الْقُرْآنَ سَاقَ الْقِصَّةَ بِصِيَاغَةٍ مُبَايِنَةٍ لِمَا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ، فَالْقُرْآنُ لَمْ يُلْقَ بِاللَّائِمَةِ عَلَى الْمَرْأَةِ، بَلْ كَانَ مُحَايِداً فِي خُطَابِهِ: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ

<sup>1</sup> 1 كورنثوس 11/8-9.

<sup>2</sup> 22/5-33.

<sup>3</sup> يشر: هادي العلوي، فصول في المرأة، ص 82.

أنت وزوجك الجنة وكلامها رغداً حيث شئتما ولا تقرها هذه الشجرة فتكوبا من الظالمين ﴿ فأنزلها الشيطان عنها فأخرجها مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) <sup>1</sup>.

وفي سورة طه (قلنا يا آدم إني هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴿ رأيتك لا تظنوا فيها ولا تصحى ﴿ فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴿ فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ﴿ ثم جتاه ربه فتاب عليه وهدى) <sup>2</sup>.

قصة خروج آدم في القرآن لم تحمّل المرأة مسؤولية الخروج من الجنة بل كان الخطاب بصيغة المثني: فأزلهما، فأخرجهما، خلافاً لم جاءت به التوراة.

القصة في القرآن لم تُسمَّ امرأة آدم، وهذا الأمر دفع الباحثين للتساؤل "إنه أمر يدعو إلى العجب، خاصة وهي أم البشرية، وأول امرأة في هذه الحياة، ثم هي التي ساعدت آدم على الخروج من الجنة، حين أغوته بالأكل من ثمر الجنة - كما تقول التوراة- لعل القرآن عنك عن ذكر اسم حواء لتأثير "سلطان البيئة"، إذ إن التقاليد العربية لم تكن تستسيغ ذكر اسم المرأة من ناحية، ولأن القرآن يصور حواء نابعة لآدم في كل شيء <sup>3</sup>.

توزعت القصة في القرآن على آيات متعددة، فلا نقرؤها باعتبارها نصاً متصلاً، بل إضاءات مجزأة تخلو من تفصيلات خلق آدم وحواء، وخروجهما من الجنة. إلا أن المفسرين المسلمين نقلوا هذه التفصيلات عن التوراة، فشاع في تفاسيرهم إحياء أسطورية رسخت في المخيال الشعبي حقائق

<sup>1</sup> سورة البقرة : 34-35.

<sup>2</sup> سورة طه : 117-122.

<sup>3</sup> محمد أحمد خلف الله: الفن التعبصي في القرآن الكريم، ص 317.

مطلقة عن الرجل والمرأة: فهي مشتقة من ضلع أعوج، وهي قرين الشيطان، ومكمن الخطيئة والرذيلة، سلاحها الإغراء، وطبعها المكر والدهاء...<sup>1</sup>.

لعل هذا الاسترسال في مقاربة قصة الخلق في العهد القديم ينطوي على فكرة مؤداهاء: أن هذا الخطاب المنتج حول الرجل والمرأة قد ترك رواسبه في تمثيلات الحياة المختلفة، فرسب في الذاكرة تفوق الرجل وحضوره، وتراجع المرأة عن الفعل والشهود، مما جعل الخطاب يتحدث عن مطلق المرأة/ الأنثى، ويضعها في علاقة مقارنة مع مطلق الرجل/ الذكر. "وحيث تُحدّد علاقة ما بأنها بين طرفين متقابلين أو متعارضين، يتعيّن ضرورة خضوع أحدهما للآخر، واستسلامه له ودخوله طائعا منطقة نفوذه، فإن من شأن الطرف الذي يتصور نفسه مهيمنا أن يُنتج خطاباً عنصرياً بكل معاني الألفاظ ودلالاتها"<sup>2</sup>.

واللغة في هذه المعادلة ليست منبئة عن الثقافة، بل هي تعبير عنها، وجزء متخلق في تربتها، فهي وسيط متغير، وتغيرها يعتمد على تغيير السياق التاريخي والاجتماعي لاستعمالاتها. "فتغيّر مدلول كلمة (Mistress) في الإنجليزية من حاكمة أو سيدة الأسرة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين إلى عشيقّة أو خليلّة في القرن السادس عشر، فاستعملت كلمة (Housewife) لتدل على ربة المنزل. يشير إلى تكدي وضع المرأة من خلال علاقتها بالرجل وانتزاع السيادة منها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> نظر: الطبري: جامع البيان في أحكام القرآن 1/229-230، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج 7، 4، ص 238. اس كبر: تفسير القرآن العظيم، 1: 19-20.

<sup>2</sup> نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، ص 29.

<sup>3</sup> Woman Words (A vocabulary of Culture and Patriarchal Society) by Jan Mills, PP. 161-165.

أسهمت الذاكرة الجمعية في إقناع المرأة بضعفها، وعدم القدرة على الإبداع، فعدت أداة قابلة للتوظيف، والترميز، والتشكل وفق النظام السائد، "إنَّ الخضوع والسلبية والضعف والمازوشية (حب الإذلال) ليست صفات نفسية للمرأة، ولكنها تصبح صفاتها من أثر الاضطهاد الاجتماعي الطويل"<sup>1</sup>.

إنَّ هذا التقييد الذي انسحب على المرأة قديماً وحديثاً ترك إحصاءاته في الثقافة والمجتمع، مما جعل المرأة تظهر كأنها هامشية، تابعاً، فانكفات على ذاتها، وانغمست في العمل المنزلي، لأنَّ ليس ثمة فضاء ممكن للمرأة غير ما هو مراقب ومكبوت.

لذا لا تُعرّف النساء في معظم المجتمعات إلا بصيغة علانية مع الآخر، فهي زوجة فلان، أو أم فلان، أو ابنة شخص ما، حتى الراهبة- في التراث المسيحي - تُسمَّى زوجة المسيح.

هذا الناموس الكوي الذي تكرر بسطوة الثقافة\* أفضى إلى إنتاج لغة تماهت مع مسطورات المجتمع، فأنحازت في أكثرها إلى الرجل، وصورته معياراً للإنسان عموماً، وصيرت الأنثى قرعاً وانحرافاً.

لم تقتصر تمثيلات اللغة على ضرب معين، بل إنَّ فضاءاتها امتدت إلى القانون اللغوي الناظم للعلاقة بين الجنسين، فأمسى الضمير المذكّر سائداً، وهو عمدة التركيب، لأنه محور الخطاب ومنتجه.

<sup>1</sup> نوال السعداوي: الأنثى هي الأمل، ص 35.

\* ساجد تعريف واره جوديثف Ward Goodmagn للثقافة الذي عسدها: المرأة المكتسبة اجتماعياً. ينظر: هلسون:

علم لغة الاجتماعي، ص 118-135.

فاللغة بفعل هذه الثقافة عدت متحيزة - كما ترى ديل سيندر (Dale Spender) "إنها ليست عربية تحمل أفكارنا، بل هي تشكل الأفكار إنها برنامج النشاطات العقلية.

وفي السياق هي لا شيء أكثر من تخيلات البشر المثيرة للسخرية كالفكرة على التمسك بالأشياء كما هي موجودة. وعندما يكون هناك لغة متحيزة لجنس ما، ونظريات تقليدية متحيزة أيضاً، فإن ملاحظة الواقع ستكون أيضاً قابلة لأن تكون متحيزة لجنس دون آخر".<sup>1</sup>

تخاطب اللغة القراء كما لو كانوا رجالاً دائماً، لأن العرف العام تشكل بوساطتهم، ولعل استدعاء إعلانات التلفزة يُوَمض إلى ما نرمي إليه، فالإعلانات توظف المرأة أداة إغرائية لعرض المنتجات، وبهذا تستبعد المشاهد الأنثى على نحو صارم، أو أنها تزج بالمرأة لأن تنظر نظرة الرجل في اللوعي، لأنها مسكونة بنزعة تلقينية مفروضة من الخارج. عرضت الناقدات في الحركات النسوية لأشكال التحيز، ولا سيما في اللغة الإنجليزية الأمريكية، فهذه اللغة تمعن في الانتقال من قدر النساء من خلال الألفاظ والمترادفات الكثيرة:

"في الإنجليزية قرابة 220 مصطلحاً يتعلق بالجنس غير الشرعي للنساء مقابل 22 مصطلحاً يخص الرجال.

وزعم أحد الباحثين أن الإهانات الجنسية زادت منذ الحرب العالمية الثانية وابتكر الإعلام المتحكم ألفاظاً تبتذل الحركات النسوية".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> Extracts from Man Made Language, by Dale Spender p. 94.

<sup>2</sup> The Female World , by Jessie Bernard, PP. 376-377.

ولا تقتصر الإنجليزية الأمريكية على تشويه صورة النساء الجنسية، بل تؤكد تفوق الرجال، ونعكس الموقع الثانوي للمرأة في عالم الذكور. "قفي دراسة للبرامج المُعدّة لتطوير اللغة الإنجليزية كان الجنس المسيطر هو الجنس الذكوري، لذا ليس غريباً أن نلمح هذه الرموز المهيمنة في اللغة، نحو: للرجال Yell (بمعنى يصيح)، وللنساء Angry ، Screans للرجال (بمعنى غاضب) وللنساء Fret، وللرجال Growlt (بمعنى يتنمر) وللنساء Squeal .

وحال (فرانسوا) معاني الكلمات المختلفة التي تعود للذكورة والأنوثة، فوجد أن الكلمات العائدة: للأنوثة مثل: Sweet أو Pretty بمعنى جميلة، هي كلمات ضعيفة، وكلمة Good تصطبغ بالازدرائية إذا أطلقت على النساء<sup>1</sup>. إن تخصيص الرمز اللغوي من قبل الرجال يرمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- إثبات أن الرجال هم الأباء/السادة.
- تكريس الهيمنة على النساء.
- تدعيم رؤيتهم المتمثلة في القدرة على تجنيس (تذكير) الحقل الثقافي مثلما قاموا بتجنيس الحقل الطبيعي للرحم.

وترى ليزي لرغراي (Laci Lrigray) " أن الذكور قاموا - بوعي أو دون وعي - بتمثيل أي شيء له قيمة بما يوافق صورتهم أو جنسهم النحوي لضمان سلطتهم وهيمنتهم على الخطاب. فأغلب النحويين قالوا بعشوائية الجنس النحوي، وأنه مستقل عن الدلالات، والإشارات الجنسية، ولكن ذلك ليس

<sup>1</sup> The Female World , by Jessie Bernard, PP 377-378.



صحيحاً، لأنّ ذاتهم قد انسربت في يخضور اللغة، فجهدوا إلى تثبيت الذكر، وإقصاء المؤنث<sup>1</sup>.

ولكن كيف تمّت نسبة الجنس إلى الكلمات؟

تري (لرغراي) أنّ تلك تم بطرائق مختلفة ومستويات متنوعة، فقديماً اعتقدوا أنّ هناك تطابقاً بين ما يسمى بالواقع وجنس الموضوع المنكلم، فالأرض la terre هي المرأة، والسماء le ciel أخوها، أما الشمس le soleil فهو الرجل الإله، والقمر la lune هي المرأة أخت الرجل الإله<sup>2</sup>.

وهكذا يُلحظ شيء من التماثل الأول يبقى دائماً في جنس الكلمات، ودرجة وضوحها أو اختبانها يختلف من كلمة إلى أخرى.

فالكائنات الحيّة القوية التي لها تاريخ (ثقافة) تصبح مذكرة، والأشياء غير الحية وغير القوية، التي ليس لها ذكورة تُسمّى (مؤنثة).

وهذا يُفضي إلى أنّ الرجال نسبوا الذات إلى أنفسهم، وقاموا باختزال النساء إلى منزلة الأشياء أو اللاتحقق ...

لقد افترض نصيرو الحركة النسوية أنّ اللغة ليست عادلة، وشفافة لتمثل الحقيقة، لذا انبرى هؤلاء لتعديل اللغة من التحيز إلى الحياد، ويتنامى هذا النهج بفعل علماء الإناسة في القرن التاسع عشر، وزاد أواره في القرن العشرين مع نهوض الحركات النسوية في العالم.

ويُعدّ يسبرسن (Jespersen) (1922) من الرواد الذين بحثوا التحيز الجنسي في اللغة، فقد نعت اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة ذكورية ووسم جربر (Gruber) اللغة الإنجليزية الأمريكية بأنها لغة كره النساء. ومثل على قوله بالأفاظ تُظهر هذه الكراهية، فكلمة bitch تطلق على النساء وهي في

<sup>1</sup> Language Sexes and Gender, by Luci Lrigay, p. 120

<sup>2</sup> Ibid, P. 121.

الأصل تتعلق بالحيوان، وكلمة witch (ساحر، ساحرة) التي تشير إلى الرجال والنساء تستحيل إلى ازدياء إذا أطلقت على النساء.  
وهناك ألفا نكتة بذيئة في أمريكا وخارجها صاغها الرجال لامتهان النساء ..<sup>1</sup>

وعبّر مارك توين (Mark Twain) عن سخطه فيما يتعلق بالجنس (من حيث التنكير والتأنيث) في مقاله (اللغة الألمانية المزعجة) "إنه في الألمانية ليس للمرأة الشابة جنس فارق، فيما يحظى نبات (اللفت) بجنس محدد، فأى وقار ومهابة يتمتع بهما نبات اللفت؟ وأي مهانة لحقت بالبنت أو الفتاة؟ والزوجة في الألمانية ليس لها جنس، فهي محايد"<sup>2</sup>.

لقرون خلت تم نجنير التنكير في الثقافة، مما مكّن الرجل من صنوغ الواقع وتنسيقه طبقاً لمآرعه، فهو يملك القدرة على تشريع نظام من المعتقدات يكون فوق مستوى الخطأ.

فالذكور -حسب توصيف ديل سيندر- "هم المجموعة المسيطرة التي أنتجت اللغة والفكر والواقع، وذلك ببناء الأقسام، واختيار المعاني، بعد ذلك قاموا بالمصادقة عليه، ونمريره إلى بقية الذكور، ولم يكن للمرأة في هذا الأمر سوى الانصياع لهذا القانون"<sup>3</sup>.

هكذا طفق الرجل يحتكر الدوال، ويشفر المعنى، فشاع الضمير المنكر وتوارى ضمير الأنثى، لأن الأنثى تتصوي تحت الضمير المنكر، ففي الإنجليزية الأمريكية استخدامات (he, his, him) أو كلمات (man, man kind) للإشارة إلى النساء والرجال.

<sup>1</sup> The Female World, by Jessie Bernard, p. 379

<sup>2</sup> Words and Women. by Gasey Miller. P. 40.

<sup>3</sup> Man made Language, P. 13, P. 143.

وتستخدم هذه اللغة في وظائف لاحقة (+man) نحو : Freshman، Postman، Salesman، Chairman، مما يرشح في الأذهان أن هذه الاستخدامات غير محددة للجنس، بل تطلق على العام.

"وتتعت مارجريت نويل (Margeret Doyle) اللغة الجنسوية بأنها غامضة وغير دقيقة؛ لأنها تستثني أكثر من نصف البشر"<sup>1</sup>.

هذا التحيز اللغوي يتعين في العبارات المستخدمة، وفي طريقة اللفظ، وشدة التعبير، وبناء الجملة، وكذلك في مواضع الحديث، فهناك نوال تحمل دلالات مباينة إذا ألحقت بأحد الجنسين، " ففي الإنجليزية: تعني عبارة He is professional (هذا الرجل ينتمي إلى إحدى المهن المحترمة كالطب والمحاماة، والتعليم...، أما عبارة She is professional فتشير إلى أن المرأة مومس محترفة، وكلمة mister تعني "سيد" أما مؤنثها mistress فتعني "عشيقة"<sup>2</sup>.

ومن الأمثلة التي تلُمع إلى التحيز الجنسي في الإنجليزية، أن الأسماء التي ربطت اللغة بالأحداث والنشاطات، وخاصة ما يتعلق بالمبول الجنسي قد صيغت تبعاً لوجهة الذكور، نحو: Penetration "الاختراق" و Screw، Fuck، أو Lay استلقاء.

فاصطبغت الألفاظ بالأشخاص الذين يميلون إلى الجنس الآخر، مما يوحي إلى أنها أفعال ذكورية تمارس المرأة فيها دور المنفعل.

وكان يتعين أن تجد ألفاظ أنثوية طريقها إلى المعجم الإنجليزي نحو: Enclosure و Surrounding "محصور، مُحاط"، Engulfing "مغطى، مغمور".

<sup>1</sup> Introduction to the A – Z of Non – Sexist language by M. Doyle, P. 149.

<sup>2</sup> نليف عرماء: أضواء على اللغويات اللغوية المعاصرة، ص 241.

إنَّ اختفاء هذه الدوال تومئ إلى سلطة الرجل في صياغة اللغة واحتكار المعنى<sup>1</sup>.

على الرغم من أنَّ الجنس الأنثوي يمثل 51% من السكان، إلا أنه لا يحظى بهذه النسبة في التحقيقات الحياتية<sup>2</sup> ففي الكتب المصورة تقابل كل صورة لأنثى 11 صورة لذكور.

وفيما يتعلق بعنوانات الكتب<sup>3</sup> فتبلغ نسبة الذكر إلى الأنثى 3/8، وهي نسبة قارّة منذ عام 1938<sup>2</sup>.

وقد أجريت دراسة للألقاب في خطاب الرواية الفلسطينية المعاصرة، وانتهت الدراسة إلى "أنَّ معظم ألقاب النساء تكمن في الميدان الاجتماعي والعائلي، وتكاد تنعدم الإشارة إلى النساء في المجالات الثقافية والإبداعي والوطنية والسياسية.

إنَّ الألقاب بما تعنيه من اعتراف المجتمع وتقييمه للدور الذي يقوم به الفرد داخله ممنوحة للرجال فقط، وإنَّ الاعتراف بدور المرأة الفلسطينية وهويتها في مجتمعها غائب ويتمحور في حدود ضيقة تعكس الشرط الاجتماعي لمنتج النص ومثليته<sup>3</sup>.

يُمنح اللقب للإنسان رجلاً كان أو امرأة باعتباره قد يُشكّل حالة ثقافية معينة داخل المجتمع، ويكون منح اللقب لهذا الكيان الثقافي تحديداً لدور الإنسان ذاته، وإبرازاً له في مناسبات الحياة.

<sup>1</sup> See: Gender Based Language , by, Susan F. Hrichanel, P. 165.

<sup>2</sup> بدأت هذه النسبة تتضاءل لصالح الجهد والمساواة بين الجنسين. بفعل الحركات النسوية التي تلحّ على حضور الأنثى في اللغة، ولكن ما زالت هذه الطموحات في بدايتها.

<sup>3</sup> لورزولا شوي: أصل الفروق بين الجنسين، ص 98.

<sup>3</sup> ينظر: إلهام أبو غزالة: الإبداع، اللغة، والمرأة، ص 12 - ص 16.

فاللقب انعكاس للشرط الاجتماعي والأطر المعرفية لمنتج النص ومستقبله وليس مرده للغة، إذ إن اللغة تحتقب في تضاعفها طرائق متراحبة لتحقيق المساواة، والاعتراف بالمنجز النسوي.

ولكن ما فتى المجتمع الذكوري يعزّز مفهوم الغرادة المستحقّة للرجال، فإن شئت المرأة عن هذا الطوق المحكم عليها قيل إنها باينت طبيعتها، وغادرت مواقعها الخلفية إلى عرين الرجل/ اللغة.

"وهذه بعض شظايا الانفجار الذي أحدثته رواية (جين إير) "الإملي برونتي"، في صف النقد الروائي في منتصف القرن التاسع عشر:

- إنه فخر أن تكون كاتبة هذه الرواية امرأة.
- إنها تكشف الكثير عن الطبيعة البشرية بشكل حائق ودقيق؛ وهذا ما يستحق الإعجاب، لكنه شيء مروع أن تكون الكاتبة واحدة من بنات الجنس اللطيف.

- فيها خروج وتجاوز عن كل ما هو أنثوي، وهذا خيانة للمرأة.
- رواية "جين إير" لا أنثوية، صحيح أن فيها قوة الرجل وصلابته وحريته في الكلام؛ بيد أن هذا نوع من الاسترجال غير المحبب...<sup>1</sup>.

انتقد مناصرو الحركات النسوية هذا الفكر المنحاز في اللغة الإنجليزية الأمريكية الذي أسلم المرأة إلى مركزية اللوغوس/ العقل، واختزل دورها في وظائف محددة؛ لذا سعت الحركات النسوية إلى تطهير اللغة من مظاهر التحيز والتطلع إلى لغة محايدة تتسق ودور الجنسين في صوغ الحياة.

<sup>1</sup> نازك الأعرابي: صوت الأنثى: ص 28.

تركزت دراسات الجنوسة على اللغات الأوروبية والأمريكية، ولم تحظ العربية بالمعاصرة إلا لماماً، وربما يعود ذلك إلى حداثة هذه الدراسات وعدم سيرورتها في المشرق العربي على نحو ما تحقق في الغرب.

لذا لا بد أن نعرض للعربية في سياق الحديث عن التحيز والحياد؛ وسأزعم في هذه المحطات منزع الانتخاب والاختيار الممثلين - في ظني؛ لتعذر الاستكراء التام.

ينبغي ونحن نعرض للغة والتحيز أن نحترس من الخلط بين اللغة بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين الظاهرة، فإذا كان ثمة تحيز فمبعثه الثقافة وقيم المجتمع لا اللغة، فاللغة محايدة في مستوياتها المتعينة، ولكنها تصطبغ بالأطر المعرفية والاجتماعية للأفراد.

يتعين لدراسة التحيز الإلماع إلى أثر الثقافة في أقاليم اللغة، فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، وهي توفّر مخلاً للثقافة، وتعين في الكشف عن المفاهيم المحورية فيها، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالعود الدائم إلى محيطها الأوسع الذي تخلق فيها الكلام.

فالعربية تعكس تمثلات الثقافة التي تشرّبت نسفها، وأسهمت في تبلورها، لأن اللغة في حقيقتها نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضرورية التي يتبناها مجتمع لتترجم من خلال تحققات فردية.

فالفرد يكتسب اللغة وهو اكتساب بالضرورة لطرائق التفكير الثأوية في نألماتها، لأنها الذاكرة الجمعية التي تودع الشعوب فيها خبراتها، وتنقلها إلى الأجيال اللاحقة.

فالثقافة العربية لم تكن بدعاً من الثقافات، فهي تتفعل بما خامرها من حضارات سابقة، وفكر إنساني متقدم، وتتفاعل مع محيطها لنسج منظوماتها من هذا الخليط المتراحب الذي يتناسى بشهقة التكوين الأولى. وهذا أصل

أصبل في كل أمة، وفي كل لسان، وفي كل ثقافة حازها البشر على اختلاف أسنتهم وألوانهم وملهم.

سقت الحديث فيما سلف إلى التحويلات التي اكتتفتها قصة الخلق الأول، وما أعقبته من آثار على الجنسين؛ إذ حظي الذكر بالأصالة والغلبة، ومُنيت الأنثى بالفرعية والاختزال.

ولعل كثيراً من المقولات المتقدمة القارة في الثقافة والمجتمع قد أرخت سدولها على اللغة، وتجلت هذه الظلال في الأصول التي أسست اللغة عليها بنيانها، وفي المؤونة التي وفرتها الثقافة للغويين والنحويين لتصنيف اللغة، وتقعيدها.

لقد حفظت الثقافة العربية مجموعة من الصور النمطية للجنسين، فانسرب ذلك في خلد أفرادها، وتمثل في معاينتهم للرجل والمرأة، فالرجل ظل في المقدمة يرفل بالقوة والمؤدد، فيما اقترنت المرأة بالضعف والغدر والجبن.

هجا زهير بن أبي سلمى آل حصن بقوله:

وما أدري وسوف إخال أدري      أقوم آل حصن أم نساء  
فإن تكن النساء مخبات      فحق لكل مُحصنة هداء<sup>1</sup>

علق الأعمى الشنتمري على هذين البيتين بقوله: "إن كانوا رجالاً فسيوفون بعهدهم، ويبقون على أعراضهم، وإن كانوا نساء، فمن شأن النساء الغدر وقلة الوفاء، وإنما يصلح للتخبئة والنكاح".<sup>2</sup>

ويرى طفيل الغنوي أن النساء لا يلتزم بما يملى عليهن:

إن النساء متى يُنهين عن خلق      فإنه واقع لا بد مفعول<sup>3</sup>

<sup>1</sup> شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 73-74.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 74.

<sup>3</sup> ابن عميد ربه: العقد الفرزدق، 127/6.

والمرأة قرين الغدر كما وصفها أبو تمام:

فلا تحسباً هنداً لها الغدرُ وحدها      سجيّة نفسٍ كلُّ غانيةٍ هندُ<sup>1</sup>  
مجدّ هذا المجتمع الرجولة، فهي نؤابة المدح والبهاء، وخلاف ذلك  
الأنوثة، فهي مادة الهجاء ولسخرية. هجا جريرُ الفرزنيقُ قاتلاً:

خذوا كُحلاً ومُخَمِّرةً وعِطراً      فلستم يا فرزنيقُ بالرجال  
وهجا أحد الشعراء عبساً:

فسادةٌ عبسٍ في الحديثِ نساؤها      وقادةٌ عبسٍ في القديمِ عبيدها<sup>2</sup>  
والمرأة تُردُّ في بعض تحققات الثقافة رديف الغي والضلال، قال أبو  
العلاء المعري:

إذا بلغ الوليدُ نديكِ عشراً      فلا يدخلُ على الحرمِ الوليدُ  
ألا إنَّ النساءَ حبالٌ غيٌّ      بهنَّ يُضيّعُ الشرفُ التليدُ<sup>3</sup>

لعل تلازم المرأة بموضوع الهجاء دعا أبا تمام أن يخصص باباً لمذمة  
النساء في كتاب الحماسة، فإذا علمنا أن أبا تمام كان أول من صنّف الشعر  
تصنيفاً موضوعياً، فتلك أمارات عن الثقافة التي رسّيت هذه الأنظار.

إن استجلاء صورة المرأة في الشعر القديم يُشعرُ بأنها عُرضت  
مثالاً منزوع الحركة، أو أداة رمزية قابلة للتوظيف، فحضورها ليس  
حضوراً كيانياً مُنتجاً، بل في كثير من التمثلات كانت عاجزة عن الحركة،  
تتسم بالعطالة والسلبية، لأنَّ الشاعر يُشكّل ذاتها وفق ثقافته ورواه. "فالترميز  
بحد ذاته عملية تُقلّص المرموز إلى مَحض بعده بوصفه موضوعاً، بينما يحتكر  
الرمز أو مؤول الرمز كل الذاتية لحسابه، ومع أن الترميز يفترض أصلاً

<sup>1</sup> ديوان أبي تمام: 8/2.

<sup>2</sup> المرزوقي: شرح ديوان الحماسة، 226/1.

<sup>3</sup> البطليوسي: شرح المختار من لؤميات أبي العلامات: جاهد عبد الحميد، 140/1.



بالموضوع المرموز أن يكون قابلاً للتشكيل، أي مادة مطّواع يحدد الآخر مصائرهما".<sup>1</sup>

لقد جرى تصميت المرأة لا لمجرد المنع من الكلام، ولكن منعها من الحضور في اللغة على نحو ما تحقّق للرجل، ففي الجاهلية والإسلام تم إحصاء 504 شاعرة<sup>2</sup>، لكن لم تمنح القيم السائدة لهؤلاء الشاعرات البروز، إلا من خرّفن ستار الصمت، وفرضن تجاربهن بمضاء وعزم، كالخنساء، وسكينة بنت الحسين، ورابعة العنوية. ومع هذا لم تسلّم تجربة المرأة من الإزراء عليها، ففي خبر عن بشار بن بريد أنه قال: "ما من شعر تقوله امرأة إلا بان فيه الضعف، فاعترضه أحد جلسائه. والخنساء؟ فقال: تلك كانت لها أربع خصبي .."<sup>3</sup>

وانتقد الفرزدق امرأة قالت شعراً. فقال: "إذا صاحبت النجاجة صياح الديك فلتذبّح"<sup>4</sup>.

فالثقافة في بعض أبحاثها عدّت اللغة شرطاً ذكورياً، فحكمت على المنجز الأنثوي بالإجهاض، فتوارت المرأة عن مزاحمة الرجل حقه. "ويبدو أنها كانت تخشى إن تميزت في الواقع تحت تسمية تخصّ جنسها أن تفقد حماية الرجل، التي هي دائماً مشروطة بالانصياع في الثقافة كما في البيت، وكما في المجتمع .."<sup>5</sup>

ضرب هذا السلوك النمط للمرأة بكلّكّه على تمثّلات اللغة "فكل ما ننتقله من أدب وتراث عن المرأة هو من نتاج هذه الصورة الخرساء لذلك

<sup>1</sup> جورج طرايشي: رمزية المرأة في الرواية العربية، ص 120.

<sup>2</sup> ينظر: عبد مهنا: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام.

<sup>3</sup> عن: عهدي العنوي: فصول في المرأة، ص 17.

<sup>4</sup> المجلد: صحاح الأمثال 1/105.

<sup>5</sup> نازك الأعرابي: صوت الأثني: ص 8.

الجسد النائي، فهذه ليلي، وعزة، وبثينة من المعشوقات الهلاميات (الخرس) مثل اللات والعزى ومناة ممن لم نسمع لهن صوتاً، ولم نتصور وجودهن الفاعل؛ لأن الثقافة لم تُرِدْهن للكلام، وإنما أرادت سكوتهن وتحليقهن في سماء المخيال المجنح<sup>1</sup>.

فالتبيعة - طبقاً لهذا المخيال - أرادت للمرأة الركون في البيت، لتمارس هواجسها ووظائفها الأنثوية. عبر أحد الشعراء عن ذلك بقوله:

ولا تحمد حسانتك إن توافت      بأيدي للسفور مقومات  
فحمل مغازل النسوان أولى      بهن من اليراع معالم

سكبت الثقافة في خلد المرأة أن الصمت مكرمة، يتعين عليها تقمصه والالتزام به، حتى تحظى بالقبول؛ لأن الكلام لا يتلاءم وطبيعتها التي صاغها المجتمع لها، إنها جسد مثير - كما وصقها ابن حزم: "إنهن متفرغات البال من كل شيء إلا من الجماع ودواعيه، والغزل وأسبابه، والتألف ووجوهه، لا شغل لهن غيره، ولا خلقن أسواه. والرجال مقتسمون في كسب المال وصحبة السلطان، وطلب العلم ومكابدة الأسفار، والصيد وضروب الصناعات، ومباشرة الحروب، وملاقة الفتن وتحمل المخاوف، وعمارة الأرض، وهذا كله متحيف لفراع، صارف عن طريق الباطل"<sup>2</sup>.

كرست الثقافة أدوار الجنسين، فكان للرجال مركزية العقل والمكانة السنية، وللمرأة العاطفة والهوى، فهي مستغنية عن العقل - تبعاً لوجهة المجتمع - متوقدة غلطة.

"حكى عن امرأة يقال لها المعبرة، كانت أحكم أهل زمانها، وأعرفهم بالأمور، قيل لها:

<sup>1</sup> عبد الله الفتحي: ثقافة الوهم، ص 39.

<sup>2</sup> ابن حزم: ظروف المحلعة، ص 84-85.

أيتها الحكيمة: أين تجد العقل معشر النساء؟

قالت: بين الأفخاذ<sup>1</sup>.

وعن هذا المسطور الثقافي صدر خالد بن صفوان، حين قيل له: أتملُ الحديث؟ قال: إنما يُملُ العتيق، والحديث معشوق الحسن بمعونة العقل، ولهذا يُولع به الصبيان والنساء، فقال: وأي معونة لهؤلاء من العقل، ولا عقل لهم؟<sup>2</sup>

لعل هذا التراتب بين الجنسين أفضى بالجاحظ إلى انتقاد بنية المجتمع التي ترى في الذكورة قيمة أثيلة، وتنتأى عن الاحتفاء بالأنوثة. ذكر الجاحظ في (رسالة النساء):

"ولسنا نقول، ولا يقول أحد ممن يعقل أنّ النساء فوق الرجال، أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو أكثر، ولكننا رأينا ناساً يزرعون عليهن أشدّ الزراية، ويحتقرونهن أشدّ الاحتقار، ويبخسونهن أكثر حقوقهن، وإنّ من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام إلا بأن يُنكر حقوق الأمهات والأخوال"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> العراوي: الرومى العاطر في زهرة الجاهل، ص 137.

<sup>2</sup> أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة 1/ 23.

<sup>3</sup> الجاحظ: رسائل الجاحظ، 3/ 151-152.

## النحو والتحيز:

لم يكن النحو بمنأى عن الثقافة السائدة، فقد تبلّرت سيماؤه من الواقع اللغوي، وما كان للغويين والنحويين إلا أن يركنوا إلى سلطان البيئة والثقافة، فمعياريّتهم محمولة على توصيف لهذا الاحتشاد اللغوي.

رتبت العربية أحكاماً نحوية وصرفية وفيرة للتمييز بين المذكر والمؤنث، نحو: تنكير الفعل وتأنيثه، واستخدام الاسم الموصول المناسب، واستخدام اسم الإشارة الملائم، والخبر، والحال، والنعته، والعدد، والتصغير، والممنوع من الصرف، والتفضيل، وغيرها.

ولعل هذه الوفرة في أبواب النحو والصرف تحققت؛ لاعتقادهم بأن التذكير والتأنيث طريقة من طرق التقسيم النحوي لإظهار التوافق في السياق حتى يكون التماسك فيه واضحاً.

ولكن الحرص على التوافق السياقي لم يكن خلواً من تداعيات الثقافة ووطأة المجتمع. لذا نلاحظ أن "الأصالة والفرعية" في الجنس اللغوي مشوبة بفكرة التكوين الأولى، التي قررت أن الذكر أصل ومنه اشتقت الأنثى. وبالضرورة أن يُغلب الأصل على الفرع لتنسق والفكرة الجوهرية للوجود. أقام النحويون على هذا الأصل كثيراً من قواعد العربية، ذكر سيبويه:

"الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء، والشيء يُذكر، فالتذكير أول، وهو أشد تمكناً"<sup>1</sup>.

ويقول سيبويه في موضع آخر: "الشيء يختص بالتأنيث، فيخرج من التذكير"<sup>2</sup>.

وترددت هذه المقولة في مؤلفات النحويين فيما بعد.

<sup>1</sup> سيبويه: الكتاب، 3/241.

<sup>2</sup> المصدر نفسه: 3/242.

ذكر المبرد: "أن كل ما لا يُعرف أمكراً هو أم مؤنث، فحقه أن يكون مذكراً؛ لأن التانيث لغير الحيوانات إنما هو تانيث بعلامة، فإذا لم تكن بعلامة، فالتذكير الأصل"<sup>1</sup>.

وقال الزجاجي: "أصل الأسماء التذكير، والتانيث داخل عليها"<sup>2</sup>.

ويذكر في موقع آخر: "أما الأفعال فمذكرة كلها، وإنما تلحقها علامة التانيث دلالة على تانيث الفاعل"<sup>3</sup>.

ويقرر ابن جنّي "أن إلحاق علامة التانيث للفعل دليل على تانيث الفاعل أو نائبه لا دليل على تانيث الفعل، فالفعل يدل على نسبة الحدث إلى صاحبه: الفاعل، المفعول به، نائب الفاعل والحدث جنس، والجنس مذكراً"<sup>4</sup>.

يقدم ابن يعيش الدليل على أصالة المذكر، في أمرين هما:

"مجيبهم باسم مذكر يعم المذكر والمؤنث، والثاني أن المؤنث يفتقر إلى علامة، ولو كان أصلاً لم يفتقر إلى علامة"<sup>5</sup>.

إن افتقار المؤنث إلى علامة تحيل إلى فكرة موهلة في القدم، إذ نظراً إلى اللاحقة أنها سمة للضعف وأقل القيمة، يذكر المستشرق فليش "إن هذه اللواحق الخاصة بالمؤنث النحوي بجرنا إلى تصور حالة من حالات اللغة ضاربة في القدم، حيث كانت هذه اللواحق تصدق على طبقات، ويبدو أنها قد التقت في طبقة يمكن تمييزها: طبقة أقل القيمة أو الأدنى، وهي التي يمكن

<sup>1</sup> المبرد: المذكر والمؤنث، ص 108.

<sup>2</sup> الزجاجي: كتاب الجمل في النحو، ص 291.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 290.

<sup>4</sup> ابن جنّي: سر صناعة الإعراب، 223/1.

<sup>5</sup> ابن يعيش: شرح المفصل، 88/5.

أن تفسر فصائل الكلمات المختلفة التي قد تضمها: كالتصغير، والتحقير واسم الجماعة، وكلمات المعاني المجردة<sup>1</sup>.

وأشار يسبرسن (Jespersen) إلى ذلك حين قال: "استخدمت اللغات القديمة نهايتين للدلالة على التأنيث، وهما "á" و "i"، وهي مرتبطة بمعاني الصغر والضآلة والنقصان والضعف في لغات كثيرة قديمة"<sup>2</sup>.

### التغليب للمذكر:

تغليب المذكر من سنن العرب، ذكر الثعالبي في حديثه عن (خطاب الرجال والنساء بالصيغة نفسها):

"قال تعالى عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله)، وقال (أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة)، فعمّ بهذا بالخطاب الرجال والنساء، وغلب الرجال، وتغليبهم الرجال من سنن العرب"<sup>3</sup>.

وتبعاً لذلك كان تأنيث المذكر من قبيح الضرورة<sup>4</sup>، "أما تنكير المؤنث فواسع جداً؛ لأنه رد فرع إلى أصل، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والإغراب"<sup>5</sup>.

فإذا اجتمع مذكر ومؤنث حمل الكلام على التنكير؛ لأنه الأصل، فتقول: الرجل والمرأة حضراء، وجعفر وأسماء ابنا أبي بكر، ولو اجتمعت منه امرأة ورجل، لتعين الإشارة إليهم بصيغة المذكر، لا بصيغة جمع المؤنث،

<sup>1</sup> هنري فنلي: العربية الفصحى، ت: عبد الصبور شاهين، ص 70.

<sup>2</sup> أحمد مختار عمر: اللغة وأصلها الفصحى، ص 64. نقلاً عن:

Language, Nature, Development and Origin, by Otto, Jespersen, P. 394

<sup>3</sup> الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص 36.

<sup>4</sup> ابن حني: سر صناعة الإعراب، 12/1.

<sup>5</sup> ابن حني: المعامل، 417/2.

فرجل واحد بمقتوره أن يلغي مجتمعاً من النساء ولو كثر؛ لأن الذكر في الجبلة الأولى أصل للأنثى، يقول الأنباري: "المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلب المذكر على المؤنث، لأنه هو الأصل، والمؤنث مزيد"<sup>1</sup>.

ويذكر ابن يعيش: "إذا اجتمع مذكر ومؤنث حمل الكلام على التذكير لأنه الأصل"<sup>2</sup>. وقال السيوطي كذلك "يغلب المذكر على المؤنث إذا اجتمعا في التثنية والجمع"<sup>3</sup>.

وتراعى هذه القاعدة في الأعداد، فنقول: "هذا حادي أحد عشر إذا كنّ عشر نسوة معهن رجل؛ لأنّ المذكر يغلب المؤنث، ومثل ذلك قولك: خامس خمسة إذا كنّ أربع نسوة فيهنّ رجل كأنك قلت: تمام خمسة. وتقول: هذا خامس أربع إذا أردت أنه صير أربع نسوة خمسة... وتقول: ثلاثة اشخص وإن عنيت نساء؛ لأنّ الشخص اسم مذكر"<sup>4</sup>.

### جمع المؤنث جمع مذكر:

أفردت العربية جموعاً خاصة بالمذكر، وأخرى للمؤنث. إلا أنّ بعض الألفاظ المؤنثة جاءت على جموع خاصة بالمذكر، نحو: "جمع قاعدة وثائرة، وقائمة، ونائمة، وصائدة: قُعاد، وتُوار، وتُوام وصداد، وفُعال جمع خاص بالمذكر، والأصل فيهن أن يأتين على قواعد وتوائر، ونوائم، وصنواد، إذ فواعل جمع خاص بالمؤنث"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 676.

<sup>2</sup> ابن يعيش: شرح المفصل، 35/6.

<sup>3</sup> السيوطي: المُرجم: 185/2.

<sup>4</sup> مسيريه: الكتاب: 561/3-562.

<sup>5</sup> السيوطي: الأضحية والنظائر، 95/3-96.

جمع فَعِيل: فَعْلَاء، وجمع فَعِيلَة: فَعَائِل، غير أنهم قالوا: امرأة فقيرة من نسوة فُقَرَاء. "وإنما جمع خليفة خُلَفَاء، وفَعْلَاء إنما هي جمع فَعِيل؛ لأنه ذهب بالخليفة إلى الرجل، فكان واحدهم خَلِيفٌ ثُمَّ جَمَعَ خُلَفَاء، فأما لو جمعت "الخليفة" على أنها نظيرة "كريمة" و "حليمة" و"رغيبة" قيل: خلانف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب، إذ كانت من صفات الإناث، وإنما جُمِعَت "الخليفة" على الوجهين اللذين جاء بهما القرآن، لأنها جُمِعَت مرة على لفظها، ومرة على معناها"<sup>1</sup>.

### المذكر خفيف وأشد تمكناً:

نكر سيبويه: "اعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث؛ لأن المذكر أول، وهو أشد تمكناً، وإنما يخرج التأنيث من التنكير، ألا ترى أن الشيء يقع على كل ما أخبر عنه من قبل أن يُعَلَّم أن ذكر هو أو أنثى، والشيء نكر، فالتنوين علامة للأمكن عندهم، والأخف عليهم، وتركه علامة لما يستقلون"<sup>2</sup>.  
علل الزجاج منع العلم المؤنث من الصرف بقوله: "وإنما لم تصرف جميع ما نكر في هذا الباب، لأن التأنيث فرع من التنكير، والتنكير هو الأصل"<sup>3</sup>.

وذهب السجستاني إلى أن صرف الأسماء ومنعها يتناصى بعلّة الخفة

والثقل:

"اعلم أن المذكر أخف من المؤنث، لأن التنكير قبل التأنيث، فلذلك صرف أكثر المذكر العربي، وترك صرف المؤنث العربي، ولذلك استمرّ المذكر بغير علامة للتنكير، بل ليست للتذكير علامة، لأنه الأول"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ، 540/12 - 541 ، والأزهري: تهذيب اللغة، 7/408.

<sup>2</sup> سيبويه: الكتاب، 1/22.

<sup>3</sup> الزجاج: ما يصرف وما لا يصرف، ص 45.



وهذه القاعدة لا تتخلف إلا إذا سمي مذكر بصيغة المؤنث، يقول

سيبويه:

"إذا سَمَّيْتَ المذكر بصيغة المؤنث صرفته، وذلك أن تسمي رجلاً بحائض أو طامث"<sup>2</sup>.

### صيغة فعيل:

غلب على هذه الصيغة التذكير، ولم تخلُ علل النحويين من تأثير الثقافة التي قصرت هذه الوظائف على الرجال فقالوا: فلانة وصي فلان، وهي كفيلي، ووليي، وأميرنا امرأة.

علل الفراء مجيء هذا البناء بغير هاء بأنه "إنما يكون في الرجال دون النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجزؤهُ على الأكثر من موضعيه"<sup>3</sup>.

وهجس بمثل ذلك ابن الأنباري، فقال: "ألا ترى أن الإمارة والوصية والوكالة الغالب عليها أن تكون للرجال دون النساء .."<sup>4</sup>.

لعل مشاركة المرأة في هذه الوظائف بعد ذلك ألجأ العلماء لأن يُشَقَّقوا لهن صيغة تتوافق وجنسهن. ذكر السجستاني: "وربما قالوا: كفيلة، ووصية، وجرية، ونحوها بالهاء على القياس، وعلى شركة المنكر"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> يُستفهم من هنا التمييز أن المذكر رُفِّلَ بحضور قياسي، فالأسماء المذكورة تكتفي بلفظ والإينس، فيما يُفصِّرُ بالأسماء للمؤنث، لعل هذا الفصير دفع أحد الباحثين لانحاد هذا النظام: "هذا التمييز بين العربي وغير العربي على مستوى بنية اللغة وعلى مستوى دلالتها يعكس تميزاً آمراً بين المذكر والمؤنث في الأسماء العربية، وهو تمييز يجعل من الاسم العربي المؤنث مملوياً للاسم الأجنبي من حيث القيمة التصنيفية، بالإضافة إلى تاء التأنيث - التي تميز بين المذكر والمؤنث على مستوى البنية الصرفية - يُمنع التثوين عن اسم العلم المؤنث، كما يُمنع عن اسم العلم الأجنبي سواء بسواء في هذه التسوية بين المؤنث العربي والمذكر الأجنبي. نلاحظ أن اللغة تفرس تمييزاً، وهذا انحاد للنحط السائد". ينظر: نصر حامد أبو زيد: دوائر الخوف، ص 30.

<sup>2</sup> السجستاني: المذكر والمؤنث، ص 37.

<sup>3</sup> سيبويه: كتاب، 239/3.

<sup>4</sup> الفراء: المذكر والمؤنث، ص 61.

<sup>5</sup> ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 647.

**صيغة فاعل:**

يُغلب على هذه الصيغة التذكير؛ لأنَّ نصيب الأنثى فيها قليل، ذكر ابن الأنباري: "إنَّ بالغاً وسافراً وعاشقاً نعوت مذكّرة ووصف بهن الإناث، فلم يُؤنثن إذ كان أصلهن التذكير، والنليل على أنَّ أصلهن التذكير أنَّ الرجال يوصفون بهذه الأوصاف أكثر مما يوصف بهن الإناث"<sup>1</sup>.

**تغليب المؤنث:**

مالت العربية في عدد من المواضع إلى التأنيث، فلم يكن انحيازها إلى المذكر على إطلاقه، فقد أحصى محمد عبد الخالق عُضَيْمَةَ تَأْنِيث الفعل وتذكيره في القرآن وخرج بجملة من النتائج:

- أنَّ القرآن أنث الفعل مع المجازي التأنيث المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 269 مرة، وذكر الفعل معه 57 مرة.
- أنث الفعل مع جمع التكسير المتصل بالفعل أو المنفصل عنه 264 مرة، في حين ذكر الفعل معه 65 مرة.
- بلغ مجموع مواضع تأنيث الفعل في القرآن 617 موضعاً، في حين أنَّ مواضع تذكيره لم تتجاوز 193.
- الغالب في القرآن تأنيث الرُّسل، فقد جاءت آيات التأنيث 26 آية، أما مواضع التذكير فلم تتعدَّ سبع آيات<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الحسنان: المذكر والمؤنث، ص 37

<sup>2</sup> ابن الأنباري: المذكر والمؤنث، ص 142.

<sup>3</sup> محمد عبد الخالق عُضَيْمَةَ: دراسات لأَمْذِيب القرآن الكريم، 7/ 488-489، ج 3، ص 1.

### تغليب الليالي على الأيام:

ذكر أبو علي: "اعلم أنّ الأيام والليالي إذا اجتمعت غلب التأنيث على التذكير، وهذا خلاف المعروف من غلبة التذكير على التأنيث في عامة الأشياء"<sup>1</sup>.

### جمع المنكر جمع مؤنث:

تُجيز العربية أن يُجمع المذكر في بعض حالاته جمع مؤنث، ويتبعاً لذلك أجاز مجمع اللغة العربية بالقاهرة جمع أصناف من المنكر جمع التأنيث الشائعة، نحو:

إطارات، بلاغات، جزاءات، حسابات، خلاقات، خيالات، إعلانات، شعارات، صراعات، ضمانات، عطاءات، قرارات، قطارات ...<sup>2</sup>

### تسمية المذكر بالمؤنث:

ذكر سيبويه أنّ المذكر قد يوصف بالمؤنث "أما ما جاء من المؤنث لا يقع إلا لمذكر ووصفاً، فكأنه في الأصل صفة لسعة أو نفس. كما قال (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة)"<sup>3</sup>.

### إلحاق المذكر علامات التأنيث:

ألحقت العربية علامات المؤنث بالمذكر، منها الهاء نحو قولك: "رجل باقعة وربعة، وصرورة للذي لم يحج، ونزوقة للجبان، وتلعابة، وضحكة، وهمزة.

<sup>1</sup> ابن سينا: المحصى، 115/17.

<sup>2</sup> في أصول اللغة، 59/2.

<sup>3</sup> سيبويه: الكتاب، 237/3.

أما الألف الممدونة، مثل: رجل عَيَابَاءَ، وطَبَاقَاءَ، وبُسْر فَرِيثَاءَ، ويوم ثَلَاثَاءَ وبِرَاكَاءَ للشديد القتال، ورجل ذو بَرَلَاءَ إذا كان جيد الرأي.  
أما الألف المقصورة، نحو: رجل خُنِّي، وزِنَعْرِي للمسيء الخلق، وجمل قَبَعْرِي إذا كان ضخماً شديداً، والْبَهْمِي نبت له شوك، وخزَامِي نبت ...<sup>1</sup>  
يُلحظ من دراسة المذكر والمؤنث في اللغة، أن أكثر ما عُني به العلماء هو دراسة التأنيث، حتى ليخيل أن المشكلة كانت تكمن في التأنيث، فأكثر ما صنّفه العلماء كان موقوفاً على أحكام التأنيث، والمؤنثات السماعية، ولعل أولية اللحن تومي إلى ذلك، فقد روي "أن هذه عصاتي، أول لحن سُمع بالبادية"<sup>2</sup>.

ويبدو أن تغليب المؤنث على المذكر ظل عدولاً عن الأصل، فالأشياء أصلها التذكير وفق هذه المنظومة اللغوية، ولكن ما ألجأ اللغويين إلى ذلك هو المعيار الصارم الذي رسموه لضبط اللغة وتقعيدها، فحين غلبوا التأنيث في بعض الحالات كانوا يحمنون ذلك على المعنى، أو يؤولونه بالمذكر لأنه أصل، فالفرع يقاس على الأصل عند اتحاد العلة وفي ذلك تأثر بأصول الفقه والمنطق.

وثمة إشارة أخرى، هي أن مؤسسة النحو ظلت حكراً على الرجال، فلا يتراءى لنا اسم امرأة، ففي إحصاء لتراجم (إنباه الرواة على أنباه النحاة) التي تجاوزت 976، لم تطلعنا سوى امرأة تُعرف بابنة الكنيزي عُيَيْتْ بالنحو<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن السكيت: المذكر والمؤنث. ص 48-49.

<sup>2</sup> أبو البركات الأنباري: اللُغَةُ فِي الْعَرَبِ بَيْنَ الْمَذَكَّرِ وَالْمُؤَنَّثِ، ص 67.

<sup>3</sup> بغير القسطنطينية: إنباه الرواة على أنباه النحاة. ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

فيبدو أن المجتمع وفر للمرأة فرصة التعليم الديني، لحساسية منعهم من تعلم علوم الشرع، فأكثر ما برزت فيه النساء: علوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه...

### الدلالة والتحيز:

وثقت الثقافة الصورة النمطية المألوفة عن الجنسين، فدثرت الرجل بدور الفعل والقوة، وخلعت على المرأة صفات الضعف والعطالة، فتسللت كثير من هذه الأدوار إلى حظيرة اللغة، فأنشحت مفرداتها بلبوس الثقافة السائدة.

إن حضور الأنثى والذكر ارتماء في ثقافة مركوزة في تربية المجتمع، وامتداد وجودي للذات التي بلرت هذه الدوال، فأمسى الذكر عصي التعريف، متراحب الدلالة، فيما تعيئت الأنثى بدورها المعهود، ففاضت اللغة بتسمياتها حسب مراحل العمر، وبمفردات الجمال والزينة، وبتتبع أدوارها البيولوجية، وبألفاظ النكاح، وبصفات المحمودة والمذمومة... وغيرها من توصيفات لم تخل من آثار ثقافية اجتماعية.

ولعل مقاربة لتحقق المرأة في ألفاظ اللغة يُفصح عما نهجس به.

"فالمرأة" ترتد إلى فعل "مرأ" أي طعم، وهنا تلازم الطعم بالطعام، وتُجمع على غير اشتقاقها، فيقال: نساء ونسوة، وتُعرف بأنها مؤنث الرجل، والنساء تعني: "المناكح"، وهنا ارتباط المرأة بالجنس والإنجاب.

وهي "حرم"، والحرم: المنع، ويقال حُرمة الرجل أي حرمه وأهله، والحريم يعني (النساء)، وفي ذلك إضفاء اللامساس على المفردة.

ويقال حليلة الرجل، وطلته/ خمرته، وهي قعيدته، وربضه، وهي ظعينة فلان، ويقال كانت تحت فلان؛ أي زوجته، وهي فراشه، وإزاره، ومحل إزاره، ومحل منزره، وأم العيال...<sup>1</sup>

فهذه المفردات وغيرها تشير إلى دور المرأة في المجتمع، ونظرة الثقافة إليها، فهي تابعة للرجل في كل أدوارها، وحضورها موقوف على الإنجاب والمتعة، وهذا يفسر وفرة المفردات الحسية للمرأة، وألفاظ النكاح في معجمات اللغة وأسفارها.

" نكر أبو زيد: امرأة مكمورة أي منكوحة، وهرج بهرج هرجاً، ونخب نخباً، فطاً فطناً، ونشل نشلاً، وفجأ فجناً، وشطأ شطناً، ورطأ رطناً، ولنا لثناً، وقمطرَ قمطرة، ورطم رطماً، وكومَ كوماً.

وقال أبو عمر: دحاهما، وأرهما، ونحمها.

وقال غير أبي عسر: باضعها، ولامسها، ومحزها.

ويقال: امرأة مُكامة، أي منكوحة.

ويقال: الكشر والمحج والزغب، والجئح، والغش، والنخب...<sup>2</sup>

وعرض الثعالبي في (كتاب فقه اللغة وسر العربية) إلى عدد من أسماء النكاح، وقال إنها تبلغ مئة كلمة عن ثقافات الأئمة، وتخير الثعالبي بعضها، نحو:

"المحت، والمسح: النكاح الشديد

الدعس والعزد: النكاح بشدة وعنف.

والهكُّ والهقُّ والإجهاد: شدة النكاح، والرهبز والدحز، والهرج...<sup>1</sup>

<sup>1</sup> ينظر: ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص 350-351، ابن الأثير: فراهير في معاني كلام العرب، 2/ 63-65. وابن منظور: لسان العرب "مرأ".

<sup>2</sup> ابن السكيت: كتاب الألفاظ، ص 264، ص 350-351.

وهناك ألفاظ عديدة تتعلق بالنكاح موزعة في تضاعيف اللغة، وما يُلاحظ من هذه الألفاظ أنها تنقسم بالإيحاء نحو هذه العلاقة، وإسناد الدور الفاعل للرجل، وحصر المرأة بالإيعاب والتلقي.

وتستعلن أدوار الجنسين في اللغة، لتتبنى - إلى حد كبير - عن الثقافة والمجتمع التي تخلقت في أحناهما. قال الخليل: "الفند: إنكار العقل من هرم، يقال شيخ مفند، ولا يقال: عجوز مفندة؛ لأنها لم تكن في شببتها ذات رأي فتفند في كبرها"<sup>2</sup>.

وذكر ابن مكي الصقلي: "السخاء والشجاعة من مناقب الرجال.

والسمن مذموم في الرجال، محمود في النساء.

والرُشح هو قلة لحم الوركين، محمود في الرجال مذموم في النساء"<sup>3</sup>.

ويذكر ابن يعيش أنه "لا يقولون للمرأة عوارة؛ لأن الشجاعة والجبن

من أوصاف الرجال لحضورهم الحرب، وكثرة لقائهم مع الأعداء"<sup>4</sup>.

لقد وقفت على عدد من أسفار اللغة، نحو: (ما اختلفت ألفاظه وانفقت

معانيه للأصمعي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت، وفقه اللغة للثعالبي،

والمخصص لابن سيده، والقاموس المحيط للفيروزابادي، والمترايف والمتوارد

لإبراهيم اليازجي).

وكان وكدي أن أستجلي صورة الذكر والأنثى في ألفاظ اللغة، وهل

أسهمت الثقافة في إضفاء مسطوراتها على أقاليم اللغة؟ فانتهيت إلى جملة من

الإلمعات.

<sup>1</sup> الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، ص 185-186.

<sup>2</sup> الخليل بن أحمد: العين، 49/8.

<sup>3</sup> ابن مكي الصقلي: تصيف لسان، 347.

<sup>4</sup> ابن يعيش: شرح للعصل، 67/5.

<sup>5</sup> ينظر: الملحق في نهاية الكتاب، آثرت أن أحصل أمثلة هذه المسألة لكثرها ملاحظاً.

- مالت الثقافة إلى إضفاء صفات محايدة للجنسين تتسق والنمط المتجنر فيها، فظفر الرجال بسهم وافر من الصفات الجامعة لمناشط الحياة، مما يؤكد الدور الفاعل لهم.
- امتزجت صفات المرأة في هذا الإحصاء بدورها الذي أملاه عليها المجتمع، فهي الزوجة والأم والمعشوقة. لذا اندغمت هذه الأنوار بالألفاظ الملحقة بها.
- نالت الصفات السعوية للرجال سُهْمَةً كبيرة، فهم السادة، وذوو العقول الراجحة وهم السُتْمُون بالكرم والشجاعة، وغيرها من صفات العلاء التي تشف عن سيطرة الرجل على روافد القوة والتأثير. فهم القادة السياسيون، والمنتجون، والمستشارون، والقادة في الحروب، وأهل العُدِّ والرَبْط، وبيدهم مقاليد الأمور، وهم المرَجِّع فيما حزب الأمة والمجتمع؛ لهذا اندغمت الصفات الملحقة بهم بالأنوار المتخللة مناحي الحياة، ولعل هذا الحضور للرجال ترك رواسمه في مفردات اللغة ودلالاتها<sup>1</sup>.
- اصطبغت أكثر الصفات المحمودة في المرأة بمُسْنَخة جسدية بحت، مما يُفْصِح عن رؤية الثقافة للمرأة، فهذه الثقافة أرادت المرأة أمًا وزوجة ومعشوقة ولا بد لها من مؤونة الجسد لتحقيق هذه الأنوار، وكأنها رهينة الإيجاب والإمتاع.
- احتفى المجتمع بالمرأة المِطْوَاع، والذلول، والمذعان، والعاشق، والباهل، والستير، والعطوف، والملازمة لبيتها القائمة على حراسة الهيكل الأسري، وأعلى المخيال الثقافي والاجتماعي من القيم الجمالية

<sup>1</sup> ينظر: ص 176-178 من هذه الدراسة.



لجسد المرأة، فكاد هذا المخيال أن يختزل المرأة في جسد يتوقد إثارة وإنتاجاً، فلا غرو أن تتزاحم الصفات الجسدية للمرأة قبُولاً وذنماً، وقد رصدت واحدة وسبعين صفة جسدية محمودة للمرأة، وتسعاً وخمسين صفة جسدية مذمومة، فيما توارت الصفات الفاعلة التي تبرز الحضور النسوي في المجتمع<sup>1</sup>.

وثمة إلماعة أخرى طاغية في فضاء اللغة وتعيناتها، وهي أن الرجل غير معرف بجنسه، فهو يمثل الإنسان / العلم / الشامل / المعيار، أما المرأة فهي محدودة الدور والتعريف.

### التحيز في الميخيل الشعبي :

تقوم أهمية التمثيلات الشعبية في أنها مرآة للحراك الاجتماعي والثقافي، فهي تكشف عن الطبائع المستكنة في المجتمع، وتشف عن طرائق التفكير، وفي ثناياها تقبع رواسب الحياة البدائية، والأسطورية، وموروثات الثقافة.

ولعل أظهر التحفقات الشعبية تكمن في الأمثال، فهي قنطرة ناجعة للتجارب المتوارثة؛ لما تتسم به من تكثيف لغوي واختزال معنوي، فضلاً على ذلك السيرورة والانتشار، فقيل "أستير من مثل"، ووصفت بأنها مصابيح الكلم. عملت الثقافة مباحثها في الأمثال، وسكبت في أعطافها بعض المسطورات ولا سيما العلاقة النازمة للجنسين، مما أفضى إلى ترسيخ معتقدات ثابتة، وقيم أخلاقية متوارثة، فظل الرجل في الميخيل الشعبي رديفاً للقوة والقوة، واختزلت المرأة في أطوار حياتها الجنسية، والصفات المحفورة في الذاكرة الجمعية.

<sup>1</sup> ينظر: من 164 - من 167 من هذه الدراسة.

إنَّ انعقاد الاتفاق على المعتقدات البدائية والأسطورية في الماضي والحاضر، ينبئ عن أهمية المخيال الشعبي في تجذير المفاهيم والأفكار، لهذا لا نلاحظ تغيراً ذا دلالة في التوصيف المتكادماً والحادث للجنسين، فحضور الرجل في المخيال الشعبي صارخ، متعدّد التحقّقات، وهو ممتد في نسيج الحياة المختلفة، أما المرأة فقد اقترنت بمجموعة من القيم الراتبة حاكت لها ذاتها وطباعها، وعملت الأمثال على تعزيزها وإحاقها بذات المرأة، فهي وفقاً لهذه الوجهة:

- جسد ضعيف: نُكِر في مجمع الأمثال: "النساء لحم على وضم"<sup>1</sup> يُضرب في ضعف النساء وسرعة تأثرهن.
- عقل ناقص: قيل: لُبُّ المرأة إلى حمق"<sup>2</sup> يضرب عنراً للمرأة عند الغيرة وقيل: "ضل حلم امرأة فأين عيناها"<sup>3</sup>. يُضرب في استبعاد عقل الحليم. وقيل: حدثت حديثين امرأة فإن لم تفهم فأربعة"<sup>4</sup> يضرب في سوء السمع والإجابة، وقيل المرأة شعر طويل وعقل قصير.
- ذات كيد: قيل: كل شيء مهة (يسر) ما خلا النساء وذكرهن"<sup>5</sup> وقيل كل بنية سببها وليّة. والمرأة حية من تحت تبن.
- ليست أهلاً للمشورة\*: قيل: "أنا نذير لكل فتى وثق بامرأة"<sup>1</sup> وقيل: ما أمر العذراء في نوى القوم"<sup>2</sup>، يُضرب في ترك مشاورة النساء، وقيل: "طاعة النساء ندامة"<sup>3</sup> واسمع للمرء ولا تؤخذ برأيها.

<sup>1</sup> ابنان: مجمع الأمثال، 19/1.

<sup>2</sup> ابنان: مجمع الأمثال، 199/2.

<sup>3</sup> المصدر نفسه: 419/1.

<sup>4</sup> الكري: فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص 50.

<sup>5</sup> العشري: المستقصى في أمثال كتاب الأمثال، ص 50.

- قرينة الشيطان: وقيل "النساء حبات الشيطان"<sup>4</sup>.
- مجلبة للعار والهَم: قيل: "عار النساء باق"<sup>5</sup>، وقيل: موت البنات سنرة، وقيل: صوت حية ولا صوت بنية، وقيل: إني بغا العذاب يرافق النساء والكلاب.
- ضلع أعوج: قيل: "الضربة للسارية والمعنى للجارية"، والمره بحال السجادة ما تنتظف غير بالخيط.
- ليست أهلاً للود: قيل: لا تُسكنوا نساءكم الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، واستعينوا عليهم بالغري، وعودوهن "لا" فإن "نعم" تجرئهن<sup>6</sup>. وقيل: المرأة إذا أحببتك أذتك وإذا بغضتكَ خانتك، "ولا تتق بامرأة، ولا تغتر بعال"<sup>7</sup>.
- اتخذ المخيال الشعبي إلى جانب الأمثال وسائل شتى لتدعيم مآثوراته، منها النصائح التي اكتست لبوس الحكمة، نحو:
- عليكم بالسراري؛ فإنهن مباركات الأرحام ...، ومن سرّه أن يلقي الله طاهراً مطهراً فليتزوج الحرائر، ... لا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزَل وسورة النور، ... وانتجبوا المناكح ...، ومن صبر على سوء خلق امرأة

<sup>4</sup> قال ابن القمّح: "إيالة ومشورة النساء، فإن رأين إلى أفن، وعزمهن لل وهن، واكفف عليهن من أنصارهن بحملك لياهن: فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياح، ولا تتكئ امرأة من الأمر ما تجور نفسها، فإن ذلك أعم للحلما، وأرحى ليلها، وأكوم للحلما، وإنما المرأة ربحانة وحبست بغير ماسة (التي تندر شوون البيت). ابن قبية: عيون الأخبار. 78/4.

<sup>1</sup> الشعبي: تنال الأمثال، ص 315.

<sup>2</sup> الميدان: جمع الأمثال، 261/3.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، 292/2.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، 384/3.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، 410/2.

<sup>6</sup> المصدر نفسه، 51/4.

<sup>7</sup> ابن عبد ربه: العقد الفريد، 126/6.

أعطاه الله أجر آسية امرأة فرعون، ... وأجيعوا النساء جوعاً غير مُضِرٍّ وأعروهن عرياً غير مُتْرَجِح، ...<sup>1</sup> وغيرها من المأثورات التي تسربت بحلّة النصائح لتحظى بالقبول والتسليم.

إن هذه المقولات وغيرها أسهمت في تظهير صورة المرأة في المخيال الشعبي، حتى غدت هذه الإيحاءات المُتقطعة طبيعة لازمة في المرأة تلازمها من ومضة الميلاد، فهي مولود غير مُرْحَبٍ به، يُستقبل على هُون. وربما ألجأت نظم الاجتماع القديم، والصراع القائم بين القبائل العربية إلى هذا المنزع، إذ إن حياة تلك المجتمعات كانت تعتمد على الكلا لسيرورة حياتهم، فكان يتعين الانتقال إلى حمى يوفر سبيل العيش لهم ولمواشيهم، فلجأوا إلى الغزو والصراع بين القبائل الأخرى، وكان وقود هذا الصراع الرجال، فاحتفت القبائل بالذكور لما ينتظرهم من مهمات أثيلة لرفعة القبيلة، وتعصيد شوكتها.

أما الإناث فكان في مخيال السابقين - مجلبة للعار والهوان، لأنهن يؤخذن أسيرات في الحروب، وهذا ما يعافه العربي، لذا ظلت الذكور تحظى بالسودد والعلاء وفقاً لتقسيم الأنوار التي أقامتها نظم المجتمع وقيم الثقافة. وإن كانت تغيرت بعض هذه الرؤى لتغير المعطيات، إلا أن هذا الترتيب الاجتماعي للجنسين ظل ثابواً في تلافيف العقلية الاجتماعية؛ لأن دور الرجل تمثّل في الإنتاج والتفاعل، فيما ظلت المرأة تمارس هواجسها عبر أسوار الهيكل المنزلي. وقد عبر المخيال الشعبي عن ذلك: "البت لو قذ المخدة تنزل مثل المهدة"، 'ويا مخنفة البنات يا رايحة للممات'.

<sup>1</sup> يُنظر: الشوكلي: الفرائد المجموعة في الأحكام الموصية، ص 119-135.

أما الولد فيستقبل بالحبور والبشر، ولو كان أحمق، قالت إحدى نساء

العرب:

لست أبالي أن أكون مُحَمَّقة\*

إذا رأيت خصية مُعَلَّقة<sup>1</sup>

ويتم ترسيخ التمايز بين الجنسين منذ الصغر، فلأولاد ألعابهم الخاصة بهم كالسيارات، والأسلحة والأقلام، أما البنات فلهن أدوات المطبخ والعرائس وتشير الدراسات النفسية إلى "أنه يُسمح لصغار الأولاد باللعب بعرائس أخواتهم بين حين وآخر، ولكن يحتمل أن يكون الولد موضع سخرية إن تكرر ذلك مرات عدة، ولكن البنات قلما يُقدّم لهن دمي السيارات والقطارات، ولا يُشجَعن على القيام بالألعاب الخشنة، وقد يُوصفن بأنهن "مُسْتَرَجَلات" إذا لم يتبعن الأخذ بالأنشطة الهادئة الرقيقة، أما الأولاد الذين يضيّقون بالألعاب الخشنة ويلجأون إلى القراءة أو العزف على (البيانو) فيُوسَمُونَ بالمختنين<sup>2</sup>... وفي ذلك ترسيم للأدوار المنوطة بهم في المستقبل.

ويوظف هذا المخيال القصص والحكايات لتمرير إملاءاته، فتلحظ أن أدوار المغامرة والبطولة والشهامة مقترنة بالذكور، أما أدوار الضعف والتأثر والخوف فتأخذ طابعاً أنثوياً.

وتقترن الأنثى وفق هذا المخيال بالمنع والحُرمة، فلا ينبغي النطق باسمها، إنما يشار إليها بأسلوب التكرة، أو المجهول، نحو:

مرّه، عيال، بنت، أهل، عقيلة، كريمة فلان، هي. هذه المسميات وغيرها تطلق على الزوجة - في الأغلب-، وكان ذكر اسمها محذور

\* المُحَمَّقة: متحبة الحمقى.

<sup>1</sup> الفراء: المذكر والمؤنث، ص 66.

<sup>2</sup> موزانا مبنر: سيكولوجية اللعب، ت: حسن عيسى، ص 230-231.

اجتماعي، لذا يتحرج الأطفال في سنيّ الدراسة من إعلان اسم أمهاتهم للأقران؛ لارتباطها في مخيالهم بالمُحَرَّم والعيب. وتشيع عادة عند بعض النساء أن تُعرِّف المرأة نفسها بمدام فلان (زوجها)، أو أن تُضيف اسمها إلى زوجها - تأسياً بالعُرف الغربي-، وفي ذلك اختزال غير واعي لذاتها وكيونتها.

ولا تقتصر آثار لمخيل الشعبي على هذه التحققات، بل تمتد في نُسُج المجتمع، لتشكيل الرؤى عن الكون والحياة طبقاً لتلك الوجهة.

لقد أسهمت عوامل عديدة في خفاء مسألة المذكر والمؤنث، منها الأسطوري، والاجتماعي، والثقافي، فألقت هذه الموروثات نُسخها في تمثيلات اللغة، فالعلاقة بين الثقافة واللغة علاقة الفاعل بالمنفعل؛ لذا تتأثر اللغة برواسم الثقافة.

ويستلماً هذا الملمح إلى أن اللغة في (هيولييتها) محايدة، إذ تُمثل ظاهرة مجردة من المحمولات التي قد تلحق بها من جراء المؤثرات الخارجية، إذن ليس بالممكنة أن نسم العربية بالتحيز. ثم نهزج إلى تعديل نظامها اللغوي، فتلك مغالطة منطقية كالذي يضع العربية أمام الحصان؛ لأنّ تعينات التحيز تتوي في تضاعيف الثقافة والمجتمع، لا في جيلة اللغة، وبالتالي يتعين تعديل الثقافة وقيم المجتمع، لينعكس ذلك على التحققات اللغوية، فحين شاركت المرأة الرجل في مضارب الحياة، وتجاوزت دور حراسة الهيكل المنزلي. أفضى ذلك إلى تعديل المسطورات المصرّغة عن المرأة، فأمست زميلة الرجل في مشروع الحياة، وتجلت آثار هذه الحالة في اللغة، وما عانت وطأة التمييز صارخة كسيرورتها في الماضي.

إنَّ غياب المرأة عن بعض التعمينات الجادة، أو ضالة حضورها لا يُعزى إلى اللغة ذاتها، إنما مردُّ ذلك للثقافة المتخلِّلة ذمات المجتمع، ويقتضي ذلك أن نحلَّ مكانها قيماً تتسق وإنسانية الجنسين، حينها يتغير الخطاب المنجز.

ولعلَّ محاولة بسيطة لاستقراء التراكيب الموروفولوجية في العربية، نفقنا إلى الطاقات الكامنة فيها، لتتفي عن ذاتها التحيز لجنس دون آخر، فالأمر مرهون بمن يوظف الخطاب لغايات معينة.

## الباب الثالث

# الخصائص اللغوية للجنسين

- الخصائص الصوتية والنطقية.
- الخصائص النحوية والصرفية.
- الخصائص الدلالية.
- الخصائص الأسلوبية.
- السلوك اللغوي غير اللفظي.





لفتت الخصائص اللغوية للجنسين أنظارَ الدارسين، فراحوا يتتبعون الظاهرة في لغة الحديث ووسائل الاتصال غير اللفظية. ووقفوا إلى جملة من السمات التي تميز لغة الرجل من لغة المرأة.

ولكن هذه الجهود اكتفت في البدء لبؤس الانطباع والإشارة، ولم تستقل برأسها، فنُثرت في نرج الحديث.

وقد أومض علماء العربية قديماً إلى التمايز اللغوي بين الجنسين، ونلاحظ ذلك في قول ابن جني حين عرض أسلوب النديبة: "إن أكثر من يتكلم بهذا الأسلوب النساء"<sup>1</sup>.

وعلق الباقلاني على قول امرئ القيس "لك الويلات بك مرجلي" بقوله: "وهذا من كلام النساء"<sup>2</sup>.

ولعل التوسع في درس التأنيث بمستوياته اللغوية المختلفة ينبى عن الاحتفاء بهذه الظاهرة، فخصصت العربية صيغاً وألفاظاً للنساء وحدهن، نحو: كاعب، حائض، حامل، مريض، ناهد، طالق، ...

"فظاهرة التأنيث صرفياً ونحوياً في اللغة العربية محورها المرأة (في الأصل على الأقل)، وهي ظواهر متشعبة ومنوعة، ولكنها جميعاً تُرد إلى فكرة واحدة، وهي تفرُّد المرأة بنمط من الخطاب اللغوي خاص بها هو خطاب التأنيث في العربية"<sup>3</sup>.

أما في العصور الحديثة فلم تكن العناية بلغة الجنسين على أيدي اللغويين، إنما نهض بها علماء الإناسة (الأنثروبولوجيا)، فحين عرضوا

<sup>1</sup> ابن جني: النسخ في العربية، ص 12.

<sup>2</sup> الباقلاني: إحصاء القرآن، ص 81.

<sup>3</sup> كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص 21.

للسعوب البدائية أشاروا إلى هذه الفروق اللغوية للجنسين، نحو ما قامت به الدراسات في القرن السابع عشر للخلاف اللغوي في مجتمع الهنود الكاريبيين. وتواصلت هذه الجهود من خلال الإرساليات الأوروبية لسعوب آسيا وإفريقيا.

سجل علماء الإناسة ملحوظاتهم عن الشعوب الآسيوية والإفريقية، وبعض الشعوب البدائية، ذكر فريزر (Frazer) في بداية القرن العشرين أن بعض الشعوب الإفريقية تحظر على نساؤها البوح باسم حميها أو أحد أقاربها الذكور، أو أحد مشتقات هذه الأسماء.

وانتفت بعض الباحثين في الإناسة إلى لغة الرجل والمرأة حين درس بعض الشعوب الإفريقية والاسترالية والهنود الأمريكية ...<sup>1</sup>

ازدادت العناية بالتمايز اللغوي للجنسين حين شارك علماء الاجتماع الباحثين في حقل الإناسة، فربطوا بين الخصائص اللغوية ومتغيرات الجنس والمجتمع والبيئة، وأثر ذلك على الكلام. ولم تنبأ هذه الانطباعات نتاج الملاحظة وحسب، بل انبرى العلماء لإجراء الاختبارات وتسجيل الوقائع اللغوية؛ للوقوف إلى الخصائص اللغوية للجنسين، والعلل الكامنة في هذا التباين.

وعلى الرغم مما بذله علماء الإناسة وعلماء الاجتماع من وكد في الإشارة إلى موضوع اللغة واختلاف الجنسين، إلا أن نهوض الحركات النسوية أذكى جذوة البحث في الخصائص اللغوية للجنسين، فأقرنت دراسات تُعنى بالمرأة واللغة، وأشكال التحيز اللغوي وسبل تعديله.

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر: لغة واختلاف جنسين، ص7، نقلاً عن:

Japanese Women's Language, by J. Shibamoto, p.4.

برز من هؤلاء الباحثين والباحثات:

- فان جنكن (Van Genneken): De sociologische structuur der Nederlandsche, 1913، "بناء علم الاجتماع في هولندا".
- ويسبرسن (Jespersen): Language: Its nature, development and origin, 1922، "اللغة: طبيعتها، تطورها، أصلها".
- وكي (Key): Linguistic behaviour of male and female, 1972، "السلوك اللغوي للذكر والأنثى".
- وميلر وسويفت (Miller and Swift): Word and women, 1972، "الكلمة والنساء".
- ولاكوف (Lakoff): Language and women's place, 1973، "اللغة ومكانة النساء".
- وتابع الباحثون دراسة السلوك اللغوي للجنسين، فظهرت دراسات، منها:
- ثورن وهنيلي (Thorne and Henely): Language and Sex, 1975، "اللغة والجنس".
- وكيت ميليت (Kate Millett): Sexual Politics, 1977، "السياسة الجنسية".
- وايكنز وإيكنز (Eakins and Eakins): Sex differences in human communication, 1978، "الاختلافات الجنسية في التواصل الإنساني".
- وياغيلو (Yaguello): Less mots et les femmes, 1978، "الكلمات المشتقة والمرأة".
- وسيندر (Spender): Man made language, 1980، "لغة من صنع الرجل".

- وكامرون (Cameron): Feminism and linguistic theory, 1985، "النسوية والنظرية اللغوية".
- وكوتس (Coates): Women, men and language, 1986، "النساء، الرجال، اللغة".
- دي بروور ودوريان دي هان (De' de Brouwer and Dorian de Hann (eds) )
- Women's Language, Socialization and Self-image, 1987.  
"لغة النساء، المخالطة والصورة الذاتية".
- آن باولز (Anne Pauwels) Women changing Language, 1998.
- كامرون (Cameron (ed) ) "النقد النسوي للغة".  
وغيرها من الدراسات ...

لقد احتفت اللسانيات الاجتماعية بعامل الجنس متغيراً مستقلاً في الملوك اللغوي، إضافة إلى العامل الاجتماعي، والعامل الاقتصادي، وعامل السن.

في البدء كان الاهتمام مُنصباً على اختبار المشاعر والعواطف الخاصة بالفرد، سواء كان رجلاً أو امرأة عند الحديث عن الخصائص اللغوية للجنسين، فالجارات الحدسية في حديث النساء أو الرجال توميء إلى اختلافات بينهما على المستوى اللفظي أو التركيبي، أو الدلالي ... ولعل ذلك ما دفع الدارسين إلى اختبار هذه الخصائص المانزة للجنسين وربطها بسياقها.

ولكنّ ثمة مُشكّل اعتاص على الباحثين، هو: هل الاختلافات اللغوية بين الجنسين بمكنتها أن تُفرد لغة للرجل وأخرى للأُنثى؟ تباينت آراء الدارسين في ذلك، فمنهم من رفض فكرة الإقرار بلغة للمرأة مُباينةً للغة الرجل، "ومن هؤلاء يسبرسن (Jespersen)، إذ عدّ الفروقات اللغوية بين الجنسين خصائص تألف في منظومة اللغة، ولا تستقل بذاتها.

ودعا كرامر (Kramer) إلى إجراء بحث عن الإشارات إلى الجنس في اللغة على وجه العموم؛ لمعاينة لغة الرجل ولغة المرأة، ولا سيما أنّ ثمة ملامح في اللغة التقليدية المستعملة محظورة على النساء، وأخرى تتشج بمُسَخة أنثوية، نحو:

lovely, sweet, charming, darling, pretty, nice, cute, precious".<sup>1</sup>

إنّ اختلاف لغة الرجل عن لغة المرأة يتناسب تناسباً طردياً والاختلاط القائم بين الجنسين، فالشعوب التي يقل فيها اختلاط الرجال بالنساء، أو يعيش فيها كلا الجنسين بمعزل عن الآخر تحت تأثير نظم دينية أو تقاليد اجتماعية، تبرز فيها لهجة الرجال مباينة للهجة النساء.

"وكلما استحكمت حلقات الانفصال بين الجنسين تكثر مظاهر الاختلاف اللغوي، حتى إنه لينشأ لكل منهما من جرّاء ذلك -أحياناً- لهجة تختلف اختلافاً بيناً عن لهجة الآخر، أو تحتوي لهجة كل منهما على مفردات وجمل كثيرة لا تُستخدَم في اللهجة الأخرى، وقد لوحظ ذلك في بعض الشعوب البدائية على الأخص.

<sup>1</sup> The Female World, by Jessie Bernard, PP, 380-382.

وكما خفت قيود الاختلاط بين الجنسين يخف هذا الاختلاف اللغوي، فنقتصر مظهره على بعض الفروق البسيطة في الأصوات والمفردات والجمل والأساليب<sup>1</sup>.

وذهب ماكس أدلر Max Adler إلى "أن الاختلافات اللغوية بين الرجل والمرأة في بريطانيا كانت في الماضي أكثر؛ لأن الحياة الاجتماعية للجنسين كانت محافظة ومغلقة، على غير ما هو متحقق في العصر الراهن"<sup>2</sup>.  
تفترن الاختلافات اللغوية بين الجنسين بالمتغيرات الاجتماعية، فالمرأة تميل إلى المحافظة في اللغة أكثر من الرجل، وهي أكثر التزاماً بالأعراف اللغوية والاجتماعية، ولعلها أكثر مقاومة للتغيير، ويمكن أن تُرد حساسية المرأة نحو المعيار اللغوي إلى وضعها الاجتماعي غير الآمن، فتسعى لتحقيق المنزلة، وإظهار التضامن.

"إن أفراد لغة المرأة يؤكد فكرة التنوع اللغوي المصاحب لتنوع الأوضاع الاجتماعية، والتمثيل لهذا النوع باختيار لغة المرأة لما تنظمه من ظواهر تخفى على الكثيرين، وهي في الوقت نفسه تقدم مورداً ثرياً للمهتمين بشؤون المرأة"<sup>3</sup>.

لم تقتصر الدراسات التي عاينت السلوك اللغوي للجنسين على الوصف، بل ربطته بالمتغيرات الفاعلة كالعوامل الاجتماعية والثقافية، بعد أن كانت الفروق بين الجنسين تُعزى إلى العوامل البيولوجية وحسب.

وأظن أن الإلماع إلى بعض الخصائص اللغوية للجنسين منبأة للتزامن بين اللغوي والاجتماعي. لذا عرّضت للخصائص اللغوية للجنسين على

<sup>1</sup> على عبد الواحد والي: اللغة والصح: ص 187.

<sup>2</sup> Sex Differences in Human Speech, by Max Adler, P53.

<sup>3</sup> كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، ص 206.

المستوى الصوتي والنطقي، والمستوى النحوي والصرفي، والمستوى الدلالي، والمستوى الأسلوبي، وقلنتُ ذلك بالسلوك اللغوي غير اللفظي.

وقد اقتضيتُ أسلوب "تحليل المضمون" في جمع المادة، إذ إنَّ هذا الأسلوب يقوم على أساس أنَّ السلوك اللغوي هو نوع من السلوك الإنساني، وبالتالي فهو تعبير عن حدث ما.

ورأحت في رصد الخصائص اللغوية للجنسين بين ثلاثة أنواع من تحليل المضمون.

1. التحليل الكمي الذي يعتمد على القياس والإحصاء باستخدام الأرقام، وقياس التكرار، مما يعكس درجة الاهتمام بفكرة ما.
2. والتحليل النوعي: الذي يقوم على أساس البحث عن وجود صفة معينة أو عدم وجودها.
3. التحليل الكيفي: الذي لا يعتمد على القياس والإحصاء بل يقوم على انطباعات المحلل واستنتاجاته عن المادة.

وقد صدرتُ في هذه الدراسة عن الافتراضات التي قررها الباحثون والباحثات حين درسوا السلوك اللغوي للجنسين.

### الخصائص الصوتية والنطقية:

يقف الباحث في السلوك اللغوي للجنسين على جملة من السمات الصوتية والنطقية تميز الرجال من النساء، منها:

أنَّ النساء لديهن مجال واسع في القدرة على الترنيم باستخدام مستوى عالٍ من طبقات الصوت الذي يتجنبه الرجال عادة، وهذا المستوى من طبقات

\* للاستزادة: ينظر: ناتاليا ريمو: معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سَوم، ص56 وما بعدها.



الصوت يمكن أن يكون مصحوباً بتعبير عاطفي، مثل السؤال التابع في نهاية الجملة.

- تتفوق البنات في استخدام الخصائص الصوتية فوق التركيبية (كالتنغيم، والنغمة)، ويلاحظ ذلك جلياً حين يسرُد ولد أوبنت قصة ماء فالينت توخّف القلوبينات الصوتية في سردها أكثر من الولد.
  - الإناث يستعملن أنماطاً من التنغيم/ تنغيم الجملة تزيد عما يستعمله الذكور، ويُلَفّ تنغيم المرأة غلالة من العاطفة واللّين، لذا تبدو أصوات الإناث أكثر موسيقية وإيضاحاً من أصوات الذكور.
  - النساء يتكلمن بطبقة صوتية عالية ورفيعة تتّسابه مع الطبقة الصوتية عند الأطفال، فالنساء والأطفال أحدّ أصواتاً من الرجال؛ لأنّ الوترين الصوتيين للأطفال والنساء أقصر، وأقل ضخامة، ويؤدي هذا إلى زيادة في سرعتهما وعددذبذباتهما في الثانية<sup>1</sup>.
  - تميل المرأة في الإلقاء والأداء النطقي للكلام إلى السرعة النسبية، وقواعد النبر وطرائق توزيعه في الجملة والعبارة، وكذلك الحال في موسيقى الكلام.
- "وتتراوح تردد نغمة الأساس عند الذكر العادي ما بين 100 و 200 ذبذبة في الثانية، ويزيد تردد نغمة الأنثى العادية على ذلك بطبقة موسيقية واحدة One Octave ؛ أي يكون ضعف تردد نغمة الأساس عند الذكر، ويبلغ

<sup>1</sup> يتراوح طول كل وترين صوتيين حوالي 1/2 9مم، وعند تمام البلوغ يتراوح الوتر عند الذكر بين 17 و 23 مم، وعند الأنثى من 12 1/2 إلى 17 مم. ويتميز تكوين الوترين الصوتيين عند الأنثى باشماله على كمية أقل من الأنسجة للعصية والعضلية والدهنية، ومن ثم يكونان من حيث الطول والعرض أقل من وترَي الذكور ...

ينظر: سعد مصباح: دراسة السمع والكلام، ص 218.

<sup>2</sup> ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص 8.

المعدل النمطي لتردد صوت الذكر 120 ذبذبة في الثانية، وصوت الأنثى 220 ذبذبة في الثانية<sup>1</sup>.

- تستخدم المرأة النبرة الخافضة لأنها بلا قوة، وبالتالي أكثر ضعفاً، وتظهر اهتماماً عن طريق سؤالها ومقاطعتها. وتظهر طلاقة أكثر من الرجل.

فقد أُجريت دراسة لإنتاج الكلام للرجل والمرأة، وخلصت إلى أن: المرأة تتكلم 1.68 كلمة في الثانية عندما تتكلم مع رجل، و 2.43 كلمة في الثانية حين تتحدث مع امرأة، أما الرجل فينتج 2.13 كلمة في الثانية حين يتحدث مع رجل و 2.02 كلمة في الثانية حين يتحدث مع امرأة<sup>2</sup>.

- النساء أميل إلى اتباع طريقة النطق الحديث، فقد انتهى (جوشات) في دراسته للفروق الصوتية بين أفراد الجماعة اللغوية التي تضم المنطقة الفرنسية في سويسرا إلى أن النساء أشد اتباعاً لطريقة النطق الحديث، ودفعه ذلك ليقرر أن دور المرأة في التطور الصوتي، أكبر خطراً من دور الرجل، وعَلَّ ذلك بأن النساء لا يعشن جيلاً وحسب، بل يشاطرن الأجيال الناشئة حياتهم كذلك، فهن أكثر من الرجال صلة بالطفل والفتى، والأمر على العكس من ذلك للرجال؛ إذ إن مجال نشاطهم هو المصنع أو المزرعة أو المكتب، حيث يشاركون هذا النشاط سواهم ممن يماثلونهم في السن.

<sup>1</sup> سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام، ص 218.

<sup>2</sup> Hesitancy in Female and Male Speech, by Lia Brekweg, p18.

ومعنى ذلك أن البيئة اللغوية للمرأة بيئة الجيل الناشئ، أما البيئة اللغوية للرجل فهي بيئة الشباب والكهول<sup>1</sup>.

وتلحظ هذه الظاهرة بين الطالبات في الجامعات، حيث تميل الطالبات - حتى أولئك القادمات من بيئات قروية أو بدوية - إلى اتباع لغة أهل المدن، فيرقن الأصوات وينطقن القاف همزة إلى غيرها من الظواهر الصوتية الشائعة بين أهل المدن؛ ظناً منهن أن ذلك أقرب إلى التحضر والرقي.

وقد أجريت دراسة لبيان الوظيفة الاجتماعية في التنوع اللغوي، واتخذت الدراسة لهجة عمان عينة ممثلة، وخلصت إلى أن: المرأة في اللهجة الأردنية تحرص على لفظ /ق/ رمزاً للدرجة والرتبة الاجتماعية (البرستيج). ويميل الرجال إلى نطق [ق] "g" كنطق الجيم القاهرية؛ لأنهم يعتون ذلك أصلب، وأكثر رجولة.

ويتجنب بعض المراهقين الأردنيين المظاهر الأنثوية مثل /ه/ بدلاً من /ق/ ويعدونها لغة مخنثة، ويفضل هؤلاء أن يستخدموا المظاهر الذكورية التي منها [ج] بدلاً من [ق] /ك/ شعورهم أنها مناسبة للهوية الذكورية<sup>2</sup>.

وترى كامرون (Cameron) "أن الرغبة في التميز لدى النساء يدفعهن إلى ترقيق أصواتهن وليست عوامل فسيولوجية"<sup>3</sup>.

- تميل المرأة إلى ترقيق الأصوات غالباً، ولا سيما أصوات الإطباق (ص، ض، ط، ظ) وهذه الأصوات لا تظهر قيمتها الدلالية إلا بالتفخيم، ينذ أن المرأة تنزع في نطقها إلى الترفيق، فتشرب الطاء تاء،

<sup>1</sup> يسمون: اللغة بين الفرد والمجتمع، ص 36.

<sup>2</sup> Social Functions of Language Variation, by Hassan Abd-El-Jawad Al-Abhath. American University of Beirut. 1986, PP 22-26.

<sup>3</sup> Feminism and Linguistic Theory, by Cameron, p 52.

والظاء دالاً أو زايماً، والصاد سيناً، وتَنطُقُ الرءاء المفخمة كالرءاء المرفقة أخذاً بالترجفة.

- يميل الرجال وامراهقون الذكور في الأصوات الشفوية والأصوات الأنفية إلى النطق من الأنف؛ لاعتقاد هؤلاء أن هذا النطق أكثر حزمًا وخشونة.

وفي لغة التوؤد والغزل تَبْرُزُ الأصوات الخفيفة والأنفية عند الذكور والأصوات الشفوية، وأصوات القهقهة تُسْنَعُ من الإناث. وتتميز أصوات الذكور من الإناث عند ممارسة التقليد الأزدرائي.

- يكثر في حديث النساء الأصوات الخشوية أو المطاطية، نحو: م م، هـ م م، آ آ م، لإظهار الاهتمام بحديث المتكلم والتفاعل معه.

وترى هيرشمان (Hirshman) أن النساء يؤكِّنُ الدعم والانتباه والموافقة من خلال استخدام hmm, hm, mm، وهذه الخصائص لوحظت في الحديث الأنثوي- الأنثوي أكثر من الحديث الأنثوي-الذكوري<sup>1</sup>.

- يميل الأطفال الذكور إلى التنغيم الهابط والمستوى أكثر من الصاعد، ولكن البنات يوظفن التنغيم الصاعد أكثر من التنغيم المستوي والهابط.

- تتفوق البنات على البنين في الطلاقة اللغوية والتَهَجِّي في مختلف المراحل العمرية، إلا أن الفرق سرعان ما يتضائل في سن 72 شهراً.

وفيما يتعلق باضطرابات الكلام وعيوبه فتبين أن الذكور لديهم عيوب كلامية كالتأتأة والتلعثم تفوق ما لدى الإناث بخمسة أضعاف.

<sup>1</sup> The Female World, by Jessie Bernard, P 379.

"ويشير ميلر (Miller) إلى أنه في معظم مستويات الأعمار كان كلام الذكور أقل وضوحاً، وتكون نسبة الكلمات المفهومة في سن سنة ونصف 38% لدى البنات في حين تبلغ 14% لدى الذكور.

وتصل البنات إلى مرحلة السيطرة على الأصوات في عمر السادسة والنصف، في حين يبلغ الأولاد ذلك في السابعة والنصف...<sup>1</sup> ولعل مرجع ذلك يعود إلى أن الأولاد أكثر ارتباطاً بالألعاب الساكنة كالمكعبات والسيارات، والأسلحة،... وغيرها من الألعاب التي لا تحمل قيمة حوارية، فيما ترتبط البنات بالعرائس وأدوات المطبخ، وهذه الألعاب تنطوي على قيم حوارية عالية<sup>2</sup>.

ينضاف إلى ذلك أن البنات أكثر توحداً مع أمهاتهن، فالتواصل والحوار يكون أكثر وضوحاً وحرية من الأولاد الذين يتوحدون مع آبائهم الذين يرتبطون بمهنتهم، فيقلّ التواصل والاختلاط مع أبنائهم.

### الخصائص النحوية والصرفية:

تميل المرأة إلى البناء النموذجي للتركيب والأسئلة القصيرة التي تظهر النبرة التساؤلية عند تأكيد شيء، نحو: أليس كذلك؟ هل توافقتني؟ هذا هو النهج الصحيح، أم لا؟ ...

وتتطلع المرأة من استخدام السؤال القصير Tag question لبحث المعنى دون مخاطرة كبيرة.

وتفترض روبين لاکوف (Robin Lakoff) "أن استخدام المرأة للسؤال القصير يعكس شخصيتها وهو جزء من عدم أخذ المرأة على محمل الجد؛ لأنّ

<sup>1</sup> ينظر: صباح حنا هرمز: النبرة النحوية للأطفال العرب ورعايتها، ص 55 - وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: أحمد محط عمر: اللغة والمخاطبات الجسديتين، ص 149.

مثل هذا الاستخدام للسؤال يؤكد أنها لا تستطيع أن تصدر قراراً، وبالتالي عدم الثقة بها لتحمل المسؤولية.<sup>1</sup>

وتتسم الأسئلة القصيرة ببعض الخصائص، منها: أنها تُشتق من أي جملة مثبتة أو منفية بشرط أن تصرح العبارة برأي المتكلم، وهي أو هو لديه السبب لأن نكون غير متأكدين من رأيه<sup>2</sup>.

ويبدو أن استخدام الأسئلة القصيرة بتنغيم صاعد مظهر من مظاهر تأدب المرأة، وترك الحديث مُشروعاً.

- تُكثر بعض النساء في أحاديثهن من الضمائر: أنا، لي، أنت/ أنتِ، لك/ لكِ، نحن/ لنا، مما يضيف تفاعلاً وتواصلًا على الحديث، فالمرأة تظهر اندماجاً أكثر من الرجل، وتتوجه بحديثها للمخاطب/ة أكثر من الرجل.

- تُقلل المرأة من التراكيب الدالة على الأمر لطلب فعل ما، فهي أميل إلى استخدام الأسلوب المؤدب الذي لا يثير نحيظة المخاطب، فيشيع في حديثها: إذا تكرّمت أغلق الباب، من فضلك عمل كذا، إذا سمحت ...، وتستخدم لوازِم سابقة للطلب مع من تربطها بهم علاقة حميمة، نحو: يا عزيزي/ يا حبيبي/ يا نور عيني/ يا روجي، تريد كذا ...

- تُكثر في لغة المرأة التراكيب الشكلية Modal التي تشير إلى أنواع الحديث، والإمكانات والاحتمالات، والشك في الأحداث التي وقعت أو التي سوف تقع، فيستعملن كلمات، مثل: أظن، يتها لي، أتصور، أتوقع، يمكن، يُحتمل ...، وهنّ يستعملن هذه الكلمات كثيراً؛ لإظهار الغموض وعدم الجزم<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> The Feminist Critique of Language, by Deborah Cameron (ed), p 246.

<sup>2</sup> Women's Language, p 176.

<sup>3</sup> Male and Female Language, by key, P. 75

- تميل المرأة في حديثها إلى الألفاظ المدعّمة والمبالغة لتعضد فكرتها، نحو: رائع كثير، كبير، أبدأ، جداً، مطلقاً، هائل، تماماً، ...
- تستخدم المرأة الأسماء أكثر من استخدام الأفعال، فهي تميل إلى استخدام الأحداث ذات المسند الوصفي، فيما يميل الذكور إلى استخدام الأفعال بكثرة.

"ويعلل بعض الدارسين أنّ التفاوت في استخدام الأفعال والأسماء مآله إلى طبيعة الجنس، فالتعبير بالأحداث يفضي إلى سيطرة فاعلة، أما التعبير بالأسماء فيعني قبولاً والتزاماً.

وينسحب ذلك على استخدام المرأة للأفعال اللازمة والسكونية، في حين يميل الرجل إلى الأفعال المتعدية المتضمنة حركة ونشاطاً، لأنّ الرجل ينحو إلى الفعل والسيطرة<sup>1</sup>.

- تستخدم المرأة جمل التعجب، والجمل الاعتراضية، والأدوات والحروف أكثر من الرجل فيشيع في حديث المرأة استخدام: حقاً، صدقاً، فعلاً، فعلياً، ما أروعها! ما أجملها!، (ما أفضعها!)، ما أذهاب! ... وهذه أساليب مألوفة، أو مكتملة لا معنى لها كما يقرر اللغويون، إذ إنّ الجمل الاعتراضية والمكملات (التي ليس لها دور وظيفي فيما يخص المحتوى) تُضعف حقيقة الشيء المراد بثه. ويذهب بعض الباحثين إلى أنّ هذه الأساليب تُحدّد وظيفة اجتماعية (كالسياق، والإقناع والتنوع...) وتربط بين المتكلم والمخاطب، فحين نسمع في الإنجليزية هاتين الجملتين:

- a- Oh dear, ...
- b- Shit, You've, ...

<sup>1</sup> أحمد مختار عمر: اللغة واختلاف الجنسين، ص 111، نقل عن:

Language, the Sexes and Society, by Philip, Smith, p53.

فمن المتوقع أن نصنف الجملة الأولى بأنها لغة امرأة، والجملة الثانية  
Shit, You've... لغة رجل، ولو استخدمت المرأة الجملة الثانية لاستهجن  
المستمعون ذلك، ونعتوها بالمسترجلة<sup>1</sup>.

وأحسب أن انتحاء المرأة للصفات الدالة على قوة العاطفة يُلمح إلى  
مزيد من تأكيد الفكرة والتأثير في المستمعين/المستمعات، لذا تتكرر ألفاظ  
المجاملة والمبالغة، مثل: فضيع، رائع، حباب/حبوبة، زين/زينة، ياخذ العقل،  
حلوة، جذاب، جميل، لطيف، لذيذ، فتان، فاتن، (يهوس)، (يجنن) وأحياناً  
تستبدل (شو) بما التعجبية للتعبير عن التفاعل مع الحدث.

- النساء أكثر استخداماً للجميل المفتوحة غير المُكتملة والمترددة وغير  
المحددة، فهن يقفزن من جملة إلى أخرى دون وضع نهاية لجميلهن، لذا  
يتسم كلام المرأة بالتنوع وتراسل الأفكار، أكثر من حديث الرجل الذي  
يميل إلى التحديد والتكثيف وحصر الموضوعات.

وترى لاکوف (Lakoff) "أنّ كلام المرأة يبدو أكثر تأدياً من كلام  
الرجل، وأحد معالم التأدي في الكلام ترك النقاش مفتوحاً، وعدم فرض الرأي  
أو الفكرة"<sup>2</sup>.

\* نلاحظ أنّ تعبيرات دعاء القوة كالقنصر والسخط والسباب موقوفة على الرجال، أما التعبيرات الضعيفة  
فهي للنساء، ويمكن أن تتساءل ماذا تعني بالقوى، ولضعف إذا كانت هذه الحروف (حروف التعجب أو  
صيده) بالفعل لا معنى لها؟.

إنّ الفرق بين استخدام shit (سحقاً) أو damn (للعنة)، أو واحدة من عبارات اللتيمة الأخرى، وبين يا  
عزيزي، أو يا لبي، ... يكمن في قوة التعبير عن الشعور لذلك يمكن القول إنّ اختيار لغة أو عبارة  
التعجب، أو السخط، عائد إلى أي مدى يسمع الشخص لنفسه أن يفعل لموقف ما.

\* See: The Feminist Critique of Language, p 245.

<sup>1</sup> Ibid. P. 246

<sup>2</sup> The Feminist Critique of Language, p 247.



وثمة تعليل آخر "أنَّ الجمل المفتوحة نتاج القلق والاضطراب وعدم الثقة لدى المرأة"<sup>1</sup>.

### الخصائص الدلالية:

تتهج المرأة في سلوكها اللغوي سلباً تمنحها الاحترام والتقدير، لذا تميل إلى اتباع العُرف اللغوي والاجتماعي. أما الرجل فهو أكثر خروجاً على القار، وأقل التزاماً بالمسئورات الاجتماعية. "فالمجتمع يفرض على الرجل والمرأة أنواراً اجتماعية بأعيانها، ويتوقع منهما أن يسلكا طريقاً مرسوماً يختلف عن الآخر. ويمكن القول: إنَّ اللغة تعكس هذه الحقيقة الاجتماعية ذاتها، فحديث أو (كلام) الرجل والمرأة لا يختلفان وحسب، بل إنَّ كلام المرأة أفضل اجتماعياً من لغة الرجل، وهذا يعكس الحقيقة الاجتماعية التي تنتظر من المرأة سلوكاً اجتماعياً أرقى من الرجل يتسق ودورها المرسوم"<sup>2</sup>.

- تنأى المرأة عن الاقتراب من الألفاظ ذات الدلالة النابية أو الجارحة، وتفضل التلميح أو الإيماء، إذا اضطرها الموقف.

يذكر هدسون (Hudson): "أنَّ النساء تميل نحو استخدام التعبيرات ذات المكانة الاجتماعية الراقية أكثر من الذكور الذين ينتمون إلى الخلفية الاجتماعية نفسها، وهي نتيجة لميل النساء إلى اتخاذ مواقف أكثر إيجابية تجاه اللهجة المتواضع عليها"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Women's Language, p 142.

<sup>2</sup> محمود أبو زيد: اللغة بين الثقافة والضمع، ص 186.

<sup>3</sup> هدسون: علم اللغة الاجتماعي، ص 190.

ويلاحظ أن المرأة أقل استخداماً لأجزاء معينة من الجسم كالفخذ، والقفأ، والثدي، والأعضاء التناسلية للجنسين ...، أما الرجل فلا يأنف من ذكر تلك الألفاظ صراحة.

ولعل ذلك ينسجم مع التنشئة الاجتماعية للذكر والأنثى، فسلوك الأنثى مشروط بهالة من المحرمات (Taboo) يجب مراعاتها، أما الذكر فله فضاءه الذي يمنحه حرية وجرأة.

- يحرص الرجل حين يخاطب المرأة على انتقاء الكلمات التي تصطبغ بدلالة الاحترام ومراعاة كرامة المرأة، لذا يتجنب الألفاظ غير اللائقة أو تلك التراكيب التي تحتل تفسيرات متعددة. ويتردد الرجل في تداول النكات البذيئة، أو السباب الجارح على مسمع من النساء.

- تتفوق المرأة على الرجل في وصف الحالة فالرجل والمرأة قد ينظران إلى حائط له ظلال زهري، فيصفه الرجل بأنه أحمر فاتح. أما المرأة فتنتعه بأنه: بنفسجي زاه<sup>1</sup>.

- تميل المرأة إلى الألفاظ السهلة واللينة المأخذ، أما الرجل فيشرب حديثه ألفاظاً صعبة ومعقدة، وقد يعود ذلك إلى أن المرأة تبتغي التأثير والتواصل مع المخاطبين/ المخاطبات، أما الرجل فهو أميل إلى استعراض معارفه وإبداء تفوقه.

- يتحدث بعض الرجال في كلامهم غير الرسمي عن الموضوعات المجردة والتقنية والرياضية وعن أعماله ومشروعاته ...، وتفضل

<sup>1</sup> The Feminist Critique of Language, p 244.

- بعض النساء التحدث عن العائلة والأصدقاء والصدقات، والأمور  
البيئية، وبعض الطقوس الاجتماعية، ...
- تحمل بعض الألفاظ دلالة مغايرة فيما لو أطلقت على أحد الجنسين،  
فالسيد هو الرجل المحترم، أما السيدة: فهي المرأة المتزوجة.
  - ابن شارع: غير المؤثب.
  - بنت شارع: لقيطة، أو مؤمس.
  - وقع الرجل: تعثر، أو أصيب بمكروه.
  - وقعت المرأة: أي سقطت في الرذيلة.
- وغيرها من الألفاظ التي تكتسي غلالة من ثقافة المجتمع السائدة.
- تميز المرأة الألوان متراً نقيماً أكثر من الرجل، فتشيع على السنة  
النساء - وخاصة المتطلعات نحو الثرجة - ألوان: الأحمر، والعنابي،  
(الموف)، والبصلي، والكموني، الفوشي، والأرجواني، والبيج، والطحيني،  
والكستنائي، والمكربي، والنيلي، والتركوآز، والرصاصي، والشمائي،  
والذهبي، والكريمي، واللزوردي، ...
- أما الرجال فيميلون إلى المقاربة في الألوان، وتتردد لديهم ألوان  
بأعيانها: كالأبيض، والأزرق، والأخضر، والأسود، والكحلي، والبني،  
والسكّني، ...
- ويعزو بعض الرجال اهتمام المرأة بالتفريق بين الألوان إلى سذاجة  
المرأة وتفاهة هذا الصنيع، فلا يتوقع من المرأة أن تتخذ قرارات في الأمور  
المهمة لذا تشغل بتسمية هذا أرجواني، وذاك فيروزي.

وقد اتفق على أن هذا التفاوت الكلامي يوحي إلى التفرقة الاجتماعية، فلا يستطيع أحد أن يضع التشريعات ضد استخدام بنفسي وعنابي من قبل النساء أو إجبار الرجال على استخدامها.

ذكرت لاکوف (Lakoff): "أنها سمعت رجلاً يضحك ضحكاً متتالية؛ لاستماعه نقاشاً بين شخصين حول غلاف الكتاب إن كان بنفسي أو عنابياً، فالرجل يرى أن هذا الحوار مسل، لأن الانكباب على الأمور النافهة مضيعة للوقت".<sup>1</sup>

وأرى أن ارتباط المرأة بالألوان متبعته شغف المرأة بالأناقة والزينة؛ لأن اللباس لغة مَعَصِدَة للسلوك الكلامي، فالمرأة أميل إلى التفاصيل الدقيقة رغبة في التميّز، وطلباً للدخولة والقبول.

أما الرجل فإنه ينحاز إلى المحافظة في ألوانه ولباسه؛ لئلا يوسم بالأنوثة أو التخنث، وإن كانت هذه القيم أخذة بالتضاؤل مع تسارع (التقليعات)، وتتنافس دور الأزياء على كسر المألوف والرتيب.

### الخصائص الأسلوبية:

- تستخدم المرأة في لغتها جُملاً قصيرة، وأقل تعقيداً، ويميل الرجل إلى الجمل الطويلة التي تنطوي على التعقيد والتجريد والافتراض؛ ليتمكن من السيطرة على الكلام ولفت الأنظار.

وتعزو فيرجينا رولف (F.Woolf) الجمل البسيطة لدى المرأة إلى "أن شكل الجملة لا يناسب المرأة؛ لأن الجمل من صنع الرجال، وهي جمل ثقيلة جداً، مُتَسَدِّقَة لا تصلح لاستخدام المرأة. إن الجمل هي فعلياً صناعة

<sup>1</sup> See: The Feminist Critique of Language, p 244.

رجل، فلا تستطيع المرأة أن تُكَيِّف أفكارها وخلجاتها في لغة صِيغَت وُفِّقاً لِحاجات الذكر<sup>1</sup>.

- يغلب على أسلوب المرأة التكرار والمؤكدات والمكثفات، وتقل من الحلف والمزاح والكلمات العداثية، ولديها استعداد لتغيير أقوالها والتراجع عن كلامها، لذا تبدو المرأة في حديثها متواضعة وليست متطفلة، ولا ترغب في أن تستأثر بالحديث.

أما الرجل فيميل إلى التكتيف، والتناقض، وينحو إلى اللغة الشارحة إذا كان يخاطب أنثى، ولكنه لا يصبر على الاستماع لشروح الأنثى؛ لأنه يعتد شرحها ثرثرة ولغواً.

- تنفرد المرأة بعبارات خاصة بها لا يستخدمها الرجل، نحو:

يا وِردِي، (يا خِيسِي)، يا حُوسِي، يا وِليتي، يا مصِيبِي، يا شِينِي، يا خِينِي، يا بَعْدِ كِبي (تلفظها الببوية يا بَعْدِ شِبي)، يا مِيمي، يا سِندي، اسم الله حارسك، حوطك بالله (أحاطك الله)، حوطتك بياسين، ...

وهذه الأساليب تُصغِي على حديث المرأة حميميةً، وتضامناً.

- تُكثِر المرأة من أساليب التأدب والاعتذار، فهي تحترم مستمعيها، وتُصغِي إلى أقوالهم باهتمام، وتقل من المقاطعة، أو تسفيه الآراء، وتُظهِر اندماجاً أكثر مع متحدثيها.

وهي تَتَمَنُّ الذوق، وتطلب الإذن للحديث حين تتأكد من أن الجميع قد أتم حديثه؛ لذا تُصِغ على لسانها عبارات: إنه يؤسفني أن أقول ...، من غير

<sup>1</sup> The Gendered Sentence, by Sara Mills, PP 66 – 67.

مواخظة، آسفة للمقاطعة، عفواً للتدخل، اسمح/ ي لي أن أبدي رأياً، أرجو التكرم بالحديث، ...

" أجرى غاس وفارونيس (Gass and Varonis) دراسة لمعاينة الحوار بين الجنسين، اختار الباحثان لدراستهما عشرين يابانياً يتعلمون الإنجليزية. وزَّع الطلاب في أزواج متقابلة (نكر / أنثى)، لم يحدّد الباحثان نوع الحوار ومدته، بل تركاه مُسرَّعاً. خلَّصت الدراسة إلى: أن هناك فروقاً بين الرجال والنساء في المشاركة، ومدة الحوار، وسيطرة كل منهما على توجيه الحديث والتأثير فيه.

وعقب الباحثان أن النتائج تُشير إلى أن الذكور والإناث يستخدمون الحوار والنقاش بطريقة مختلفة، فالذكور ينتهزون الفرصة لينتجوا قدرًا أكبر من المخرجات الشاملة، فيما تستخدم النساء الحوار للحصول على قدر أكبر من المُتخلّلات الشاملة<sup>1</sup>.

- تبدو المرأة في حديثها الرسمي أكثر ترددًا من الرجل، "وقد أُجريت دراسة لبحث التردد في كلام المرأة والرجل. صدرت هذه الدراسة عن فرضية روبين لاكوف: "أن المرأة تتردد وتستخدم أسلوباً أقل حزمًا من الرجل".

ميّزت الدراسة أربع مجموعات للكلام المتردد:

أ- السؤال القصير: ويعني عدم التأكد في بعض الحالات، وعدم التأكد من رأي مسموح، ولكن هناك حالات يكون عدم التأكد غير مسموح به أو غير مشروع.

ب- الأفعال الظنية (التجنُّبية)، نحو: أفكر، أظن، أتوقع.

<sup>1</sup> Gender Differences and Second Language Acquisition, by Ali Shehadeh, Research Journal of Aleppo University, PP 76-77.

ج- الاحتمالات، نحو: ربما، على الأرجح، شيء من هذا القبيل، وهذا الأسلوب يضعف المحتوى الخاص بالمعنى للكلمة أو للتعبير.

د- المكملات: وهي الكلمات أو التعبيرات التي ليس لها عمل وظيفي يدعم المحتوى. مثل: أنا أقصد، ما أريد قوله، أه ، ...<sup>1</sup>.

إن تفسير صمت المرأة في الحديث أمر صعب، ولكن يتوقع أن المرأة في الحديث الرسمي تكون في موقف مزدوج مما يسبب لها التردد في الحديث، فإذا تكلمت بأسلوب امرأة، أحست أن ذلك لا يتناسب والأسلوب الرسمي، وإذا تحدثت بالأسلوب النموذجي/المعياري، قيل لها هذا لا ينسجم مع أسلوب المرأة في الكلام<sup>2</sup>.

### التردد في كلام الجنسين:

أثرت أن أتحقق من التردد في حديث الجنسين؛ لظني أن صور التردد في كلام الذكر والأنثى ليس مبعثها التفوق الجوهري للرجال، أو الضعف المركوز في ذات النساء، إنما تنبئ هذه الصور عن توليفة اجتماعية ثقافية تركت إملأاتها في ذوات الرجال والنساء.

حاولت اختبار الكلام المتردد للذكر والأنثى، فاخترت عشرة رجال وعشر نساء تتراوح أعمارهم بين العشرين سنة والثلاثين.

### - فرضيات الدراسة:

اقتصرت على حزمة من الفرضيات أرى أن لها سيرورة بين الأفراد عن حديث الذكر والأنثى، ينضاف إلى ذلك أن كثيراً من الدراسات التي عُنيت بالسلوك اللغوي للجنسين أطبقت على تداولها، من هذه الفرضيات:

<sup>1</sup> Women's Language, p p 176-178.

<sup>2</sup> Ibid. P. 151.

- أن الفرق في الجنس يأخذ أدواراً مختلفة في الحديث، ولا سيما الحديث المختلط بين الجنسين.
- يكتنف حديث المرأة مبالغات ومكثفات وتوكيدات أكثر من الرجل.
- تتعرض المرأة للمقاطعة في المحادثات التي تكون وجهاً لوجه.
- تميل المرأة إلى التكرار، وتراوح حول الفكرة الواحدة.
- المرأة أكثر ثرثرة من الرجل، وتنتجُ قدرًا أكبر من الكلام في الحديث غير الرسمي.
- تستعمل المرأة الأفعال الظنية (التجنُّبية) أكثر من الرجل.

#### - منهج الدراسة:

اعتمدتُ منهج تحليل المحتوى Content Analysis؛ لأنه منهج ملائم لهذا النوع من الدراسات.

#### - عينة الدراسة:

تم اختيار العينة عشوائياً مع مراعاة متغيرات:

1. جنس المتكلم. ذكر/أنثى.
2. أسلوب الحديث. رسمي/غير رسمي.
3. جنس المخاطب. ذكر/أنثى.

- الأسلوب الإحصائي: ملتُ إلى احتساب التكرار، ثم حصر النسبة المئوية لمجموع التكرار من المجموع الكلي لكل أسلوب.

قمتُ بتعزيز الصدق والثبات بواسطة اختيار العينة عشوائياً وعرض أنموذج الدراسة على مختصين.



بعد تحليل الأداء انتهيت إلى جملة من المعطيات:

الكلام التردد	المتغيرات			
	الأسلوب		اشادة	
	الرسمي	غير الرسمي	جنس المتكلم/المخاطب	
الاحتمالات	3.73	1.37	2.36	رجل مع رجل
	3.58	2.82	0.72	رجل مع امرأة
	15.05	6.62	8.43	امرأة مع امرأة
	17.23	10.67	6.56	امرأة مع رجل
المقاطعات	6.50	2.85	3.65	رجل مع رجل
	9.51	3.80	5.71	رجل مع امرأة
	10.74	4.19	6.55	امرأة مع امرأة
	5.14	2.1	3.13	امرأة مع رجل
المكملات	14.58	6.31	8.27	رجل مع رجل
	14.39	8.11	6.28	رجل مع امرأة
	22.16	8.32	13.84	امرأة مع امرأة
	16.43	7.25	9.18	امرأة مع رجل
التكرار	6.46	1.23	5.26	رجل مع رجل
	15.31	5.39	9.92	رجل مع امرأة
	12.87	5.22	7.65	امرأة مع امرأة
	12.47	7.51	4.96	امرأة مع رجل

مما لاحظته في هذه الدراسة:

- أن الرجال أميل إلى القطع في حديثهم، ويستأثرون بمدة أطول.
- أن الرجال والنساء ينتجون كلاماً متردداً في الأسلوب الرسمي.
- أن النساء أقل مقاطعة من الرجل، ولا سيما في الأسلوب الرسمي.
- يأخذ الرجال فرصاً أكبر في المبادرات الكلامية والتصحيحات فيما يُطرح.
- كانت النساء مساندات ومؤيدات في أحاديثهم مع الرجال، وأخذن المبادرة بالبناء على ما نُكر.
- مالت النساء إلى القفز في الموضوعات، وخاصة في حديث النساء إلى مثيلتهن، وخصّصن وقتاً أطول للحديث عن الأمور الشخصية.
- انتهت بعض الدراسات إلى أن النساء أقل ميلاً من الرجال لإظهار الفوارق، ويأخذن أحاديث الرجال على محمل العناية والجدة، فيما يَغصُّ الرجل بكلام المرأة، ويصفه بالثرثرة والخواء.
- ففي تجربة أجريت في جامعة بنسلفانيا (Pennsylvania) تم اختيار اثنين من الطلبة الخريجين، أحدهما رجل، والأخرى امرأة، وكانا متساويين في امتلاك مهارة الخطاب الشفوي.

كُفِّ الخريجان بإلقاء محاضرات مماثلة في موضوع علم الاجتماع، وكانت المحاضرات للنساء والرجال، تحدّث كل محاضر لصفه في الموضوع الأول في الأسبوع الأول، وفي الأسبوع الثاني تحدّثا في الموضوع الثاني، وقد أُخبر الطلاب - مسبقاً - أنهم سيُمتحنون بالمعلومات التي أُلقيت في المحاضرات؛ لذا حرص الطلاب على المتابعة والتركيز.

وحيث أُجري الاختبار كانت المعلومات التي نقلها الطلاب عن المرأة مصحوبة بتعليقات مثل: هي قالت She said this، أو She made the point بمعنى أنها قدمت النقاط.

كانت هذه التعليقات أكثر في المعلومات التي نُقلت عن المرأة، أما المعلومات التي ألقاها الرجل فكانت أكثر قبولاً وثقة من حديث المرأة<sup>1</sup>.

إنّ ارتباط حديث الرجل بالجدّة والثقة، واقتراح حديث المرأة بالريبة والهزل أمر لازم ورائح في مسطورات الثقافة وقيم المجتمع؛ لأنّ الأنوار التي يشغلها الذكور والإناث متعيّنة في تحققات عديدة، فالقرار الفصل يُعزى للرجل دائماً، أما المرأة فعليها الرضوخ والطاعة. فلم يرتبط دور المرأة بالمواقف الجادة، إذ إنّ الشُرْثَقَة التي ضربها المجتمع على المرأة أفضت إلى تفرغ شخصيتها من الفعل والتأثير.

لعل هذا الاعتقاد الذي سكبته المجتمع في عقول أفرادهِ هو المحرك لسلوكهم تجاه الذكر والأنثى؛ لذا يصدر الأفراد في تقييمهم لأنوار الذكر والأنثى عن قناعة مُسبقّة، فتفوق الذكر هو المعيار الرتيب، أما مشاركة المرأة في الحل والعقد فانحراف واستثناء.

<sup>1</sup> The Female World, p p 382 - 384.

عُثِرَتْ إحدى الأكاديميات عما تعانيه من الطريقة التي يتبعها الطلاب والطالبات في الجامعة حين يخاطبون أعضاء هيئة التدريس ذكوراً وإناثاً: "لأسباب اجتماعية معروفة داخل المجتمع، يكون عليهم/هن استخدام لقب مع اسمنا في أثناء المخاطبة، فيستخدمون اللقب وحده، أو قبل الاسم. واللقب الذي نعاني منه هو "مس" (Miss)، بصرف النظر عن نرجتنا العلمية، وعن كوننا متزوجات، أو غير متزوجات. ونلاحظ أن الطلاب يخاطبون زملائنا الرجال بلقب دكتور (Dr.) أو أستاذ (Professor) بتلقائية وبساطة.

ونشرح للطلاب عدم راحتنا - نحن الأكاديميات - للتعريف علينا من خلال الحالة الاجتماعية فقط، ففي السياق الأكاديمي، يتعين التعريف بنا من خلال هويتنا الأكاديمية وإنجازنا العلمي<sup>1</sup>.

إن سبب هذه الرتبة الراتبية للجنسين يكمن في الأنماط الثقافية السائدة، فيتناغم منح اللقب للذكر والأنثى مع الحالة الثقافية داخل المجتمع، لذا يكون منح اللقب تحديداً لدور الإنسان في مناسط الحياة، وإبرازاً للدور الثقافي الذي يقوم به.

### السلوك اللغوي غير اللفظي للجنسين:

اللغة ليست نظاماً من العلامات وحسب -وفق تعريف سوسير- ، أو ضرباً من السلوك كما رأى بلومفيلد، فهناك أنظمة سلوكية غير لغوية Non-Verbal Behaviour تُرَافق الأداء اللغوي وتحظى بدور الدعم والمساندة للأداء، نحو: التعبير الجسدي، والتقارب، واللمس ...

<sup>1</sup> بغير أو غرابة: الإبداع، اللغة، والمرأة، ص 4.

وتتضافر هذه المكونات في تحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، ويتفاوت هؤلاء في استخدام هذا السلوك، فيكثر بعض الأفراد من الحركات والإيماءات في أثناء حديثه؛ لما تنطوي عليه من دلالات داعمة للغة، بل ربما كانت في بعض المواقف بديلاً من السلوك اللغوي.

"رَوِيَ عن عمر بن الخطاب أنه جاء ابنته حفصة ليسألها عن أمر حُرَّتِهِ، فقال: إني أسألك عن أمر أهمني، فأفرجيه عني: في كم تشناق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحييت، فقال: فإن الله لا يستحي من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر، وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر"<sup>1</sup>.

وقد فطن الجاحظ إلى دور الإشارات الجسمية في تعضيد الكلام بقوله:

"والإشارة واللفظ شريكان، ونعمّ العون هي له، ونعمّ الترجمان، هي عنه، وما أكثر ما تنوب هي عنه، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا البتة"<sup>2</sup>.

وفي بعض الحالات يكون الكلام محظوراً، فيلجأ الأفراد إلى لغة للتواصل عبر الإشارة "ففي أستراليا لا يُسَمَح للأرملة التي دفنت زوجها حديثاً باستعمال الكلمات، وكما لا يُسَمَح الشيء نفسه للشباب المقبلين على مرحلة الرجولة.... وحتى الأمم المتحضرة لم تنفض عن نفسها مثل هذه المحرمات

<sup>1</sup> ابن حنبل المدين المنيع: ذكر القائل، 5/16.

<sup>2</sup> الجاحظ: البيان والخبير: 78/1.

الكلامية. يُنكر أن بعض القسس المسيحيين لم يَنبَسُوا ببنت شفة لسنوات عديدة، فتحدثوا بلغة الإشارة؛ "لأنَّ الكلمة المنطوقة كانت خطيئة"<sup>1</sup>.

ويُلحظ أنَّ المرأة أكثر استخداماً للإشارات غير الكلامية، وهي أعمق فهماً لكنَّه مراميها، وتوظيفها في الموقف اللغوي.

جاء في رسائل ابن حزم: "ما رأيت قطُّ امرأة في مكان تحسن أن رجلاً يراها أو يسمع حسنها إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت بمنزلة، وأنت بكلام زائد هي عنه في غنية"<sup>2</sup>.

فالمرأة تميل إلى المفاتيح غير الكلامية، كحركات الوجه والجسم؛ لإشاعة التوافق والتناغم في خطابها، وبالتالي الوصول إلى التأثير والتضامن.

- تضرب المرأة بكفها على صدرها إذا تعرضت لحدث فيه إنكار أو استغراب، وإذا كان الحدث أكثر دهشة وارتباطاً بها فإنها تصكُّ وجهها عوضاً عن السلوك اللفظي، أو مساندة له، وقد حفظ تراثنا بعض هذه الإشارات، من تلك قول الشاعر:

تقول وقد دقت صدرها بيمينها أبعلني هذا بالرحى المتقاعس<sup>3</sup>

- تبسّم الإناث أكثر من الذكور - غالباً -، وهنَّ لا يفتحن أفواههن على نحو ما يفعل الذكور، بل يضعن أصابعهن على شفاههن حياءً، ويضحكن دون قهقهة؛ لأنَّ المجتمع يعذُّ ضحك المرأة في بعض المواقف من سوء الأدب، لذا يتعيَّن على الأنثى أن تكتفي بالابتسام.

<sup>1</sup> كوندرا توف: أصوات وإشارات: ت. لغوي، بوجنا، ص 12 من 13.

<sup>2</sup> ابن حزم: رسائل ابن حزم، ت. إحسان عباس، ص 271.

<sup>3</sup> ابن جني: الخصائص 1/246.

- تُعَبَّرُ المرأة عن موقف الخَيْرَة أو التوتر بوضع أناملها على أسنانها الأمامية مع إبقاء الفم مفتوحاً، أما الرجل فيُعَبَّرُ عن ذلك بحكّ الرأس أو الذقن أو الجبهة.
- يُعَبَّرُ الرجل بهزّ كتفيه عن الرفض، وقد تشير بهما المرأة تطلّلاً.
- النساء يملن رؤوسهن للتعبير عن الحياء أو الخضوع، وهنّ أكثر تنوعاً في مشيتهن. فحالة الدعة والسكينة تقتضي مشياً معتدلاً، والأمر الجدل يتطلب مشياً سريعاً، أما المشي البطيء مع إصدار حركات أو إطالة النظر فيما حوّلن فإنه يلمح إلى دلالة إغرائية، أو لفت الأنظار.
- قسّر أبو حيان الآية (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) التور 31 بقوله: " كانت المرأة تضرب الأرض برجلها ليقعقع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال. وسماع صوت هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها"<sup>1</sup>.
- الإناث يُمَعِنُ في بعضهن أكثر مما يفعل الذكور، الذين يفضلون تكرار النظر على إطالته. ويُحَظُّ في اللقاءات العامة أنّ المرأة تنظر إلى زوجها أكثر مما ينظر إليها.
- للمرأة قدرة على توظيف لغة العيون، فليديها مهارة في بث رسائلها من خلال نوافذ الروح (العيون)، لذا قيل "رُبَّ لَحْظٍ أَنَّمْ مِنْ لَفْظٍ".
- يميل الرجل إلى رفع الكف صوب الرأس لإلقاء التحية، فيما تميل المرأة إلى هزّ الرأس للتعبير عن الموقف أو الاستجابة له.
- المرأة تقترب من المنطقة الشخصية لجليستها، وهي أكثر ملامسة لها، ولعل ذلك يوحي إلى التوحّد والمودة، فثمة صلة بين الاقتراب واللمس.

<sup>1</sup> أبو حيان الأندلسي: المعجم المحيط، 249/6.

أما الرجل فيفضل إبقاء مسافة بينه وبين محدثه (وهي المنطقة الآمنة)،  
وقلما يوظف اللبس في عملية التواصل والانسجام.

يرى آلن بير (Allen Yair) "أن قفل القدم محصور بالنساء، إن أعلى  
رجل تُقفل الرجل الأخرى لتعزيز موقف دفاعي، وحين تظهر هذه الإيماءة  
يمكنك أن تتأكد أن تلك المرأة قد أصبحت منعزلة أو أنها انسَلت مثل السلحفاة  
إلى صدفتها.

إن هذا الوضع شائع بين النساء الخجولات أو اللواتي يشعرن  
بالجبن"<sup>1</sup>.

أرى أن المرأة تصنّف في صنيفها هذا عن تطبّع اجتماعي وجهها إلى  
المحافظة والالتزام وعدم الابتذال، فالبنت تُربى منذ الصغر على ضم قدميها،  
وعدم الاندفاع كالأولاد؛ لأن ذلك في عُرْف الثقافة عيب.

قاربت الكاتبة (مي جبران) هذه الحالة بقولها:

" تُربى البنت على كبح الجسد (اقعدي منيح، وطّي التتورة، ما تلعي  
مثل الصبيان، وطّي صوتك، اسمعي الكلمة، لا تقولي كلاماً بذيئاً ... ) فهي  
تربية العيب، فيما يُربى لصبي بارتياح أكثر (معلش هو صبي، اتركه يقعد  
مثل ما يشاء) تُربى البنت باللا، وهو بالنعمة ..."<sup>2</sup>.

- تُعبّر المرأة عن حركات وجهها بصورة أعمق دلالة، لتحقيق الصداقة  
والفرح وبتّ الهدوء في نفس المستمع.

لاحظت (هنيلي) "أن النساء لديهن القدرة على قراءة الإشارات غير  
الشفوية سواء كانت صادرة عن ذكر أو أنثى، وربما يعود السبب إلى أن

<sup>1</sup> آلن بير: لغة الجسد، ت. سمير شيباني، ص 83.

<sup>2</sup> مي جبران: الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، ع 73-74، 1994، ص 143.



السلوك غير الشفوي يحظى بدور مهم في حياة النساء، فهن أكثر حساسية للتلميحات غير الشفوية من الرجال<sup>1</sup>.

وقد قام علماء في جامعة نيويورك ستيت (New York State) في الولايات المتحدة بإجراء تجارب على سبعة عشر ولداً وثمانى عشرة بنتاً وانتهت الدراسة إلى أن الفتيات يملكن مقدرة التعرف على أدق التغيرات التي تطرأ على الوجه أكثر من الأولاد<sup>2</sup>.

ولعل هذا الفيض من السلوك غير اللفظي لدى المرأة يرجع إلى طبيعة التركيبية الاجتماعية التي فرضت على المرأة نسقاً محدداً، ودوراً ثابتاً من المفترض الالتزام به، لذا تلجأ المرأة إلى السلوك غير اللفظي؛ لبناء عالم رمزي تمارس فيه البوح غير جسدي ما دام بعض الكلام محظوراً.

"قاللة بالحركة يمكن أن يكون لها أصل نفعي، ومع ذلك فكون استعمالها عند الشعوب المتوحشة من شأن النساء على وجه الخصوص يوحي بتفسير آخر. ذلك أن السبب الذي يدعو عادة إلى التفريق في اللغة بين الجنسين يكون سبباً دينياً، فلما كانت الكلمات التي يستعملها الرجال محظورة على النساء، فقد وجب على هؤلاء أن يستعملن مفردات خاصة يخلفنها بأنفسهن حتى لو اضطررن عند الحاجة إلى إحلال الحركة محل الصوت. وهكذا يمكن أن يفسر استبقاء لغة الإشارة بالإلزام الناشئ عن النواهي"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> The Female World, p 385.

<sup>2</sup> صحيفة الرأي الأردنية، 2001/7/21، ص 24.

<sup>3</sup> فلوريس، اللغة، ص 33.

لا يقتصر توظيف المرأة السلوك غير اللفظي على المحظورات والنواهي، فهي تلجأ إليه في سلوكها اللفظي أيضاً؛ لإسباغ غلالة من التأثير والتواصل على حديثها.

\*\*\*

نخلص من عرض الخصائص اللغوية للجنسين إلى أن السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي في حالة تفاعل دائم، فاللغة في جوهرها متأصلة في حقيقة الثقافة، ونظم الحياة والعادات عند كل جماعة، ولا يمكن إيضاح اللغة إلا بالرجوع إلى المحيط الأوسع وهو الظروف التي يتخلق فيها الكلام. إن اتساع الشقة في الخصائص اللغوية المميزة للجنسين تتناسب تناسباً طردياً مع التواصل القائم بين الجنسين، فكلما شاركت المرأة الرجل في صوغ الحياة وبناء المجتمع الرحب قلت الاختلافات بين الذكر والأنثى، وكلما زاد انعزال المرأة عن الرجل اتسعت الفروقات اللغوية للجنسين. ويلاحظ ذلك في لغة ربّات البيوت ولغة النساء اللواتي يشاركن الرجل في العمل الوظيفي، إذ تكتنف لغة ربّات البيوت استعمالات مباينة إلى حد ما للغة النساء العاملات. فاللغة منظومة أودعها مراس الكلام في الجمهور، وتتأثر بالمحيط الاجتماعي للأفراد والجماعات.

وعلى الرغم من تقريرنا أن ثمة خصائص لغوية مائزة للجنسين، إلا أن هذه التنوعات اللغوية لا تعدو أن تكون ضرباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس أو طبقة منهم، فلا تُقيم هذه التنوعات اللغوية قطيعة بينها وبين اللغة الجامعة التي تميز لغة المجتمع من غيره.



## الختام:

صدرت هذه الدراسة عن وجهة تری أن اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الظواهر الاجتماعية، وهي تدخل في علاقة جدلية مع غيرها على وجه الاستمرار، إذ إنها نسق يشترك في اتباعها أفراد المجتمع، وبها يتواصلون؛ لتحقيق غائية الاجتماع البشري.

ومستصفي ما خلصت إليه الدراسة من أنظار:

- أن الصلة بين اللغة والمجتمع متناظمة، ففي أحضان المجتمع تخلقت اللغة، وهي قنصرتهم للتواصل فيما بينهم، وتتجاوز وظيفة التفكير المجرد، والتعبير عما يخلج في أقطار النفس، لتشمل استجابة المتلقين لها.
- احتفى اللغويون العرب بالسياق الذي تُمتعمل فيه اللغة، واستشعروا الوجهة الاجتماعية في معابنتهم للظاهرة اللغوية، وإن لم يصرحوا بها تصريح اللسانيات الاجتماعية.
- استدركت اللسانيات الاجتماعية على علم اللغة الحديث إهماله للعوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة، وكان يتعين أن تُدرس المعطيات الاجتماعية للغة ضمن علم اللغة العام، لا أن يُفرد لها علم مستقل.
- إن استجلاء ماهية السلوك اللغوي لا يكون إلا بالعود إلى المحيط الأوسع للظروف التي يتم فيها الفعل الكلامي، إذ يتأثر هذا السلوك

- بطبيعة المتكلم، وطبقته الاجتماعية، وجنسه، وطبيعة الموقف الذي يتكلم فيه، وشخصية السامع، وتكوينه الثقافي. إلى غير ذلك من معطيات تسهم في شكل السلوك المنجز.
- أطبقت الدراسة على أن الاختلاف بين الجنسين متبعته قيم المجتمع ومسطورات الثقافة. وليس العوامل الفسيولوجية والبيولوجية، ويعضد ذلك ما أجري من بحوث ودراسات في السلوك اللغوي والاجتماعي للجنسين.
- لم ينتظم تصنيف الجنس في العربية منطلق عقلي، ولا سيما الجنس المجازي، فليس ثمة قرينة بين الجنس الطبيعي والجنس النحوي، ولعل هذا ما أشكل على الباحثين لالتماس علة مطردة في التصنيف. ويتراءى لي أن اللغويين حين صنفوا الأشياء كان هاجسهم ضبط اللغة واطرادها، لا أن يفضلوا جنساً على آخر، ولو أنهم أفردوا للمجازي من الأسماء قسماً ثالثاً لتخلصت الظاهرة من مشتجر الخلاف.
- ينبغي ألا نخلط بين العربية بوصفها ظاهرة، والنظرية التي تحاول استخلاص قوانين تلك الظاهرة، فإذا كان هناك تحيز في بعض التعينات اللغوية فمرد ذلك إلى الثقافة وقيم المجتمع.
- إن اتساع الهوة في الخصائص اللغوية المائزة للجنسين يتناسب تناسباً طردياً مع التواصل والمشاركة، فكلما حضرت المرأة في المشهد الحياتي إلى جانب الرجل قلت الاختلافات اللغوية بينهما، وكلما تقوّعت في حراسة الهيكل المنزلي، وتوارت عن الشهود زادت الاختلافات بين الجنسين وتعمقت.

- على الرغم من إقرارنا بالخصائص اللغوية للجنسين، إلا أن هذه التنوعات لا تعنو أن تكون ضرباً من الأساليب والتلوينات التي تتخلل لغة فئة من الناس، أو طبقة منهم.
- تقتضي الزمالة المفترضة بين الجنسين، تعديل القيم الثقافية والاجتماعية ليرقل الجنسان بالمساواة، ويفضي ذلك إلى تغير التمثلات اللغوية، فهذه التحققات مرهونة بموروثات الثقافة التي انحازت للذكورة. وليس للغة نصيب من التحيز، فاللغة في جيلتها محايدة، وهي تملك طاقات كامنة لتتفي عن نفسها الانحياز، لكن ذلك مشروط بمن يسعمل الخطاب.



**الملاحق**

**تقاسم الصفات الموروثة والمذمومة  
بين الجنسين**





مُلْحَق بالصفات المحبودة والمذمومة للجنسين استُلت مائة من جملة من

معجمات المعنى.

صفات سلبية ملحقة بالمرأة:

الصفة	المفردة	
* الحُمق	امرأة رقاع	حمقاء
	خذعل	حمقاء
	دفشن	حمقاء
	دنفس	حمقاء
	لكاع	الحمقاء الدنيئة ... ينظر: الأسمي: ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص 3.
	وزهاء	
	دعفاء	حمقاء
	جمعاء	* تقال للتي أنكر عقلها، ولا يقال للرجل
	ثأطاء	حمقاء
	لكعاء	
	عوكل	حمقاء
	بلعوس	حمقاء
	خزنبيل	حمقاء - المخصص 61/16، 151/16، 165/16، 169/16
* الفجور	امرأة جلعة	فاحشة
	مجة	التي تكلم بالفحش
	بذينة	ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، ص 45.
	السلفع	الجريئة البذينة

البذينة	الغنيص
التي تكلم بالفحش	الجلاعة
تتكلم بالفحش	المنجاعة
الفاحشة الخفيفة	الترعة
ابن السكيت. كتاب الألفاظ، ص 244.	
المرأة الفاحشة	طلعة
بذينة	قبة
لا ترد يد لامس، وتقر لما يصنع بها	قروور
	مومسة
	بغى
	مساخرة
بلغت في السوء غايته	معاقص
إذا كانت نهاية في سوء الخلق.	زبعوق
فقه اللغة، ص 170	
	عاهر
خلعت خمارها تبرجاً	مجالع
بغى	هجول
بغى	هلوك
	صنّيع
ماجنة	عجن
متساقطة	رعيل
الداعرة الخبيثة	عنقص

فاجرة	خَرِبَ	
	خريمة	
قليلة الحياء	قَرَّعَ	
تلازم الرجال	زير	
	سافر	
اسم للفاجرة	فرنتى	
ذات الريبة والفحش	خَطَّالَة	
صلبة الوجه	وقَّاح	
	قذع	
الفاجرة تظهر سرها لكل واحد. المخصص. 16/124، 134، 142، 161، 167	هنبع	
	خُنْطُوب	
ردية الخبز	النُّلْجَة	
	فحاشة	
- القاموس المحيط 'نلج'، 'فحش' فحاش		
		صفات خُطِّية وسلوكية مذمومة
لا تطيع زوجها	نشوص	
- ما اختلفت ألفاظه ... ص 49.		
ضحَاكَة	هاهأه	
المخصص 16/14		
	وزهاء	

هتباء	فيها طيش
	المخصص 16/16
مهزاق	كثيرة الضحك
منقاص	كثيرة الضحك
مكثير	كثيرة الكلام
ظلوم	ظالمة
	المخصص 137 135 /16
علوق	لا تحب زوجها
رؤود	تدخل بيوت الجيران
	المخصص 142/16
دغور	تذعر من كل شيء
بطرير	طويلة اللسان سخابة
	المخصص 168/16
جماد	ممسكة
رواد	طوافة في بيوت جاراتها
عفير	لا تهدي لأحد شيئاً
فرج	لا تكتم سرا
جئحل	غليظة الخلق
فيلق	داهية سخابة
حنيش	كثيرة الحركة
جخمرش	سمجة مكرومة
خنيق	رعناء

غليظة	ضَمَزَر	
خداعة	خلوب	
المخصص 142/16		
صخابة	صَبِصَلِق	
المخصص 169/16		
	شَنْقَلِق	
غالبه بالشر سليطة	عَنْقَلِر	
لا تستقر نزقاً	عَنْهَل	
	عِيَهْه	
إذا زادت سلاطتها	سَلْقَانَه	
فقه اللغة 169		
السيئة الخلق	عَنْقَانَه	
	صَدُوف	
* ينظر القاموس المحيط في جنور المفردات		
مفتة الريح	لَخْنَاء	صفات جسدية مذمومة
لم يكن على فخديها لحم	مَصْنَوَاء	
إذا كانت نهاية في السمن والعظم	فَيْعَلَه	
إذا كانت كثيرة مضطربة الخلق	عَرْكَرَكَه	
مضطربة الخلق	عَضْكَه	
قبيحة	رَسْعَاء	
صغيرة الثديين	جَدَاء	

قليلة اللحم.	قفرة
غليظة الخلق	جانبة
لم يكن على نراعيها لحم	منشاء
لم تكن لها عجيزة	زلاء
طويلة الثديين مسترخيتهما	طرطبة
قصيرة نميمة	قنبضة
ضخمة البطن	مفاضة
* ينظر. فقه اللغة ص 169	
سمينة	خنواء
المخصص 53/16 - 161	
غليظة الخلق	عكباء
قبيحة الوجه	خساء
مسترخية	خوناء
قبيحة	سواء
لها أسنان زائدة	ثعلاء
عظيمة العجز	بوصاء
قبيحة المشية	قثعاء
لا لحم على يديها	قنشاء
العظيمة الوجنات	وجنء
قصيرة	نكوع
قصيرة، سيئة المشي	نرؤم
لا تكذبين من الهزال	خفوت

بها عيب في جسدها	نسوس
مذمومة	ذميم
مُسنة	نصف
خبينة النفس	فُرث
مُكْتَزَة ضخمة	خُنُج
مسترخية الجفون ولحم الوجه	خنطير
ضخمة البطن مسترخية اللحم	ضَمَعَج
فانية	نَظَم
قصيرة	عَلَكَة
نخيمة	جَلِيح
هرمة	خجرط، هَلْدَم، ودلغم
فيها هوج واسترخاء	هَرْمَل
ضخمة ثقيلة	قَرَضَم
كبيرة سمجة	فرشاح
ضخمة	مُهْنَس
عجوز كبيرة	هَرْمَسَف
	هَرْمَسَفَة
قصيرة	جُنْحَا
قصيرة	بُهْتَر
ينظر. المخصص 162/16 - 169، 183	بُهْتَرَة
قبيحة غير منسوقة	شوهاء



طويلة مع دقة في البدن ضخمة الخصرين	مقاء خرتاء	
دقيقة عظام اليدين والرجلين عش	عشة	
جافية الخلقة	عكبرة	
لم تتم أعضاؤها التناسلية	ضنهاء	
أحد ثدييها أكبر من الآخر	حضون	
هزلت بعد سمن	متخرخرة	
واسعة الفم	فوهاء	
مسترخية أسفل البطن	سول	
ينظر: القاموس المحيط		صفات نفسية وخلقية محمودة
متحبة لزوجها	عزوب	
كتاب الألفاظ 238		
محببة لزوجها	عاشق	
حصان	حاجن	
المخصص 122/16 126		
نقية	طاهرة	
لا تمنع زوجها مالها	بأهل	
حيية	خرود، خريد	
المخصص 142/16		
لها شرف تتزوج طمعا في ولدها.	ظنون	
كتاب الألفاظ، ص 238		

	تقال، التَّقال	رزان
	خليق	حسنة الخلق
	عَطِيف	ذلول مطواع
المخصص 157/16		
	سَتِير	حيية
المخصص 158/16		
	مِدْعَان	مطواع، منقادة
القاموس المحيط		
	نَوَار	المتحفظة التي تنفر من الريبة
	رَزَان	رزينة في مجلسها
	خَفْرَة	صنيئة
فقه اللغة 167		
	رَخِيمَة	منخفضة الصوت
	بِرْزَة	جليلة تظهر للناس
فقه اللغة 168		
	مِعْطَاء	من العطية
	مِهْدَاء	من الهدية
	مَقْصُورَة	مصونة، محجوبة
	اللِّبْقَة، اللِّبْقِيَة	الظريفة
ينظر: القاموس المحيط		
المخصص 135/16	مَعْنَاج	
	صِنَاع	صانعة
151/16		

135/6	تَجَرُّ ثوبها ثقَّة	مِرْفَال	
	مُتَجَمِّلَةٌ، مَقْرِيْنَةٌ	زَانِن	
142/6	تَطْرَحُ ثوبها ثقَّة	طَرُوح	
7/16 المخصص	الناعمة. التارة البدن	الخَبْدَى	صفات جسدية محمودة
35/16 المخصص	بينة البهجة	مِنْهَاج	
151/16 المخصص	كثيرة اللحم	بَضَائِض	
157/16	ناعمة	فَرِيح	
	خالصة البياض	بَحْت	
	عظيمة حسناء.	فَنَق	
170-162/16 المخصص	ينظر.		
	حسناء	غَيْلَم	
	طويلة العنق في حسن	عَيْطَل	
	طويلة متشدبة	شُرُوط	
	ناعمة	أَمْثُود	
	تارة ذات قوام	عُظْمُوس	
	تامة حسنة	شُغْمُوم	
	تارة، وقيل بيضاء حسنة	رُعبوب	

كبرىة الئءبب	خننرف
ئامة معئلة	خلق وخلفة
ببنة البهاء بنظر: القاموس المءبب	بهبة
ذات جمال رائق	رؤفة
حسنه القوام	ممشوقة
الطوبلة	السرفوف
الطوبلة الجملة	السئهة
الطوبلة الحسنه الخلق	سرفبفة
حسنه الشعر	فراء؁ غراء
ذات شعر طويل	قئبنة
الناعمة	الرئخمة
الحسنة	لها رؤاء
الببنة الغبء؁ الناعمة اللبنة	الغاءة
رقبقة البشرة	عئهرة
المشرفة الوجه	الزفراء
الممئنة الناعمة؁ الحسنه الخلق	المعئجة
الشابة الرئخمة	الخوء
الشابة الحسنه	الرئءة
ببنة الشباب فهتر فب مشبها	أملود

ناضرة ونضرة ونضيرة	بينة الحُسن مع النعمة
سرّعية	طويلة، حسنة الجسم
شبناء	بينة الشنب، وهوماء ورقة تجري على الثغر
المارية	البيضاء
الهركلة، والهركلة، والهركولة	الحسنة الجسم والمشية
تخضانة	طيبة النفس والريح
الهبركة	الناعمة التامة
خلاقة	حسن خلقها
روقاء	ذات جمال رائق
الذمخلة	الحسنة الخلق
السناط	الحسنة اللحم واللون
البيهس	الحسنة المشية
البهنكة	ناعمة الجسم اللينة
تميمة	تامة الخلق وثيقة
ربيلة	سمينة
رتجلة	سمينة منعمة
الوهنانة	اللينة، لينة الجسم ناعمة
البرهرة	الناعمة، كثيرة اللحم
أثانة	الطويلة

حسنه الخلق	شَغَفَرٌ	
الحسنة المشية	السراح	
دقيقة المحاسن	ممكورة	
حسنة القد، لينة القصب	خرعبة	
لطيفة البطن	قَبَاءٌ، خمصانة، هَيْقَاءٌ	
لطيفة الكشحين	هَضِيمٌ	
طويلة العنق	عَطْبُولٌ	
ترتج من سمنها	مَرْمَرَةٌ	
عظيمة الخلق مع الجمال	عَبْرَةٌ	
إذا كانت طيبة الخلوة	رَصُوفٌ	
ضاق ملتقى فخذها لكثرة اللحم. ينظر فقه اللغة 166-167	لَفَاءٌ	
جميلة الجسم	حَسَانَةٌ	
* ينظر: ما اختلفت أعضاه ... ص 49		

## صفات مذمومة للرجل

الصفة	المفردة	الحمق
	حَطَّنَطِي	يُعَيَّرُ بِهِ الرَّجُلُ إِذَا نَسَبَ إِلَى الْحَمَقِ
	عَيَّيَاء	الْأَحْمَقُ الْقَدِيمُ
	الطَّبَائِقَاء	الْأَحْمَقُ
	طَبَّحَةٌ، وَلَطَّخَةٌ	أَحْمَقٌ لَا خَيْرَ فِيهِ
	بُوْهَةٌ	أَحْمَقٌ
	خَالِفَةٌ	فِيهِ حَمَقٌ
	طَبَّيَاخَةٌ وَفَجَّاعَةٌ	أَحْمَقٌ
	زُمَيْلَةٌ	أَحْمَقٌ ضَعِيفٌ
	إِمْرَةٌ، وَإِمْعٌ	أَحْمَقٌ لَا رَأْيَ لَهُ
	ضَوْكُوعَةٌ	أَحْمَقٌ كَثِيرُ اللَّحْمِ مَعَ ثِقَلٍ
	حَجَّاجَةٌ فَقَّاقَةٌ	أَحْمَقٌ
	هَلْبَاجَةٌ	أَحْمَقٌ مَاتِقٌ
	سَاقِطٌ	نَاقِصُ الْعَقْلِ
	أَمَنَةٌ	يَتَّقُ بِكُلِّ وَاحِدٍ جِهْلًا
	لَفَاءَةٌ	* يَنْظُرُ. الْمَخْصُصُ 170/16 - 176، 183.
	أَبْلَهٌ	إِذَا كَانَ بِهِ أَدْنَى حَمَقٍ وَأَهْوَنَهُ

أخرق	الحمق مع عدم الرفق
أهوج	الحمق مع تسرع
مأقون	لم يكن له رأي يرجع إليه
يهفوف	من زاد حمقه
خنق وهينق	اشتد حمقه
عفاك لفياك	إذا كان مشبعاً حمقاً يُنظر: فقه اللغة ص 155 - 156.
<b>الفجور</b>	
دُعرة	
جواظة	
طفانية	
عاهر	
نطف	
فاحش، فحاش	يُنظر: القاموس المحيط
<b>الجبين</b>	
نأنا، رنأناة	ضعيف، عاجز، جبان
هوماء	جبان
قروقة	
كينة وكيء	جبان
قرورة	
نفرجة	ينكشف عن الحرب



ضعيف رخو جبان	زَمَيْل وزَمَيْلة	
ضخم جبان	رَتَل وهَرَب وهَرَبَة	
يَفْرَق من كل شيء المخصص 18/16، 72، 139، 170، 176	فَرُوق وفَارُوق وفَارُوقَة	
	جبان	
في نهاية الجبن	فَشَل	
ضعيف القلب	هَل	
	هَيَّاب	
جبان	رَعْدِيد	
	خَوَّار	
	خَرَع	
مخلوع القلب ينظر: إبراهيم اليازجي: المترادف والمتواردة. 85/1	مَنْخُوب	
		<b>البخل</b>
إذا كان في نهاية البخل	حَلَز	
شديد البخل فقه اللغة 161	لَحَز	
إذا كان مع شدة بخله حريصاً	شَحِيح	
	لَتِيم	

	ضئير	
إذا كان شديد الإمساك لماله	جفد	
	مُسكاة	
	ضيق	
ممسك	كز	
المترالف والمتولرد 81/1	حصير	
عسير الخلق	وعقاة لعقة	صفات مذمومة أخرى
لا يُطاق	عزنا	
خامل	نومة	
لا خير فيه	رهكة	
محتال	خولة	
يهزأ بالناس	هزأة	
يسخر بهم	سخره	
يخدلهم	خدلة	
يكذبهم	كذبة	
كثير الاضطجاع	ضجعة	
سريع الغضب	غضبة	
ضيق الرأي	مزقة	
شديد الصخب	صخابة	
يفزع الناس كثيرا	فزاعة	
كثير الأكل	أكالة	

كثير الكلام، متداه	لُقَاعَة
يبرم بالناس ينظر: المخصص 174-170/16	فَانُورَة
يبخر ماله ويفسده	تَبْدَارَة
كثير السب	مَسْبَة
كثير الكلام	هَيْذَارَة بَيْذَارَة
شديد الطلب	عَلَاقِيَة
كثير القعود	قُعْدِيَة
كثير الاضجاع	ضُجْبِيَة
يتسخط عند الطعام من سوء خلقه المخصص 177-174/16	جِنَاعِظَة
خفيف	سِنْدَاوَة وَقِنْدَاوَة
القاموس المحيط: الجذور الأنفة	
وَحِم	بِلْدَامَة
رخو لنيم	ضِرْسَامَة
سيء الخلق	زَمَحْن وَزَمَحْنَة
نو تعويق	عَوَقْ عَوَقَة
المخصص 186-174/16	
إذا لم يكن له قوة بالأمر	نَطِيش
ليس له رأي	حَبْض
لم يكن له قوة بالأمر	بُنْم

	لم يكن له قوة بالأمر	فتم	
	القليل المنفعة	ووخ	
	ينظر: ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه ص 50 - ص 67	هلباجة	
	صغير الجثة قليل	رجل قفة	صفات جسدية مذمومة
170/16	*المخصص		
	قصير	جثمة	
171/16			
	قصير	دنامة ودنابة	
173/16			
	قصير	جئزة	
175/16			
	سمين مندلق البطن قصير	نخوة	
175/16			
	كثير اللحم - قصير لنيم الخلقه	درحاية	
175/16			
	قصير لحيم	جفظاية	
175/16			
	غليظ إلى القصر	حرابية	
175/16			
	وخم	بلدامة	
176/16			
	قصير	جحنبارة	
176/16			
	قصير	تنبال	

	تنبالة	
المخصص 182/16	نخداحة	قصير
	ننية	قصير
	خزق	قصير
	جنم	قصير
	جئمة	
	جفظار	
	جفظارة	
فقه اللغة 156	أصعل	صغير الرأس
	سمنع	صغير الرأس
فقه اللغة 156	أشدق	إذا كان فيه عوج
	أكشم	ناقص الخلق
	أخفج	معوج القد
	أذن	منحني الظهر
فقه اللغة 156	أخذب	خرج ظهره ودخل صدره
	ألص	إذا كان مجتمع المنكبين يكادان يمسان أذنيه
	أجنا، أدنا	إذا كان في رقبتة ومنكبيه انكباب إلى صدره
	أغن	إذا كان يتكلم من قبل خيشومه

إذا كان متباعد ما بين الفخذين والقدمين فقه اللغة 156	أفحج، أفج	
قبيح العرج فقه اللغة 156	أقرل	
قصير نميم ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه ص 34	دُعُوب	
إذا كان قصيراً غليظاً	حَقِيس	
إذا كان قصيراً غليظاً	كَلَكَل	
قصير غليظ ضخم البطن	كَلَاكَل	
إذا كان قصيراً	حَقِيئاً	
إذا كان قصيراً سمياً	حَقِيئاً	
القصير السمين	بَجْبَاح	
إذا كان قصيراً ثم اضطرب لحمه.	وَحْوَاح	
القصير الغليظ	جُعْشُوش	
القصير النميم ما اختلفت ألفاظه ... ص 44	جَنْزَقَر	

## صفات محمودة للرجل

وردت صفات كثيرة في كتب اللغة، أسوق جملة منها:

الصفة	المفردة	
السيادة	الخلّاح	السيد الشجاع
	الهَمَام	السيد البعيد الهمة
	القَمَام	السيد الجواد
	الغَطْرِيف	السيد الكريم
	الصَنْدِيد	السيد الشريف
	الأرْوَع	السيد الذي له جسم وجهارة
	الكَوْتَر	السيد الكثير الخير فقه اللغة 163-164
	الْبُهْلُول	السيد الحسن البشر
	عَيْمَة	خيار قومه
	نَابِخَة	عظيم الشأن ضخم الأمر
	صَنْبَابَة	أي خيارهم المخصص 170/16-173
رجاحة العقل		
	طَبِينَة	عالم بكل شيء
	لَوْدَعِي	جيد الخدم
	الْمَعْي	إذا كان ذكياً موقداً مصيب الرأي فقه اللغة 164
	نَكِي	

	فطين	
	فهيم	
فطن صادق الحدس المترادف والمتوارد 104/1	زكّن	
		الشجاعة
شجاع	صمّة	
شجاع لا يُتْرَى كيف يوتى له	بُهْمَة	
شجاع	واقعة	
المخصص 183-174/16		
شديد ضخّم شجاع	مرافصة	
الجرىء على الأعداء	ضنّارم ضنّارمة	
	خمس	
	صارم	
	نجيد	
	نمر	
	بئيس	
	مقدام	
	بطل	
	فتاك	
المترادف والمتوارد 84-83/1	مصنّام	
		الكرم
	كرامة	



فقہ اللغة 164	الكريم الجواد	الغيداق
	الذي يرتاح للندى	الأريحي
	الكثير العطية	الخصرم
	بلغ النهارية في الكرم	الأفق
		سخي
		سجل
		وهوب
		بنول
		فتاح
المتراشف والمتوارد 77/1		معطاء
		<b>صفات أخرى</b>
	صبور على الشراب وغيره	كؤصة
	طريفاً متعجب	رؤمة
	جيد القول	رجل تقولة
	جيد الكلام فصيح	تكلامة
المخصص 170/16 · 174		
	طيب النفس ضحوك	فكه
	إذا كان سهلاً ليناً	دهنم
	إذا كان طريفاً كيساً	بزيع
	إذا كان حانقاً	عبقري
	إذا كان حركاً طريفاً	زول
فقہ اللغة 165		

## المصادر والمراجع



## المصادر والمراجع

### بالعربية

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس.
- أبو ريشة (زليخة): اللغة الغائبة، نحو لغة غير جنسوية، مركز دراسات المرأة، عمان، 1996م.
- أبو زيد (محمود): اللغة في الثقافة والمجتمع، دار الكتاب. مصر (د. ت)
- أبو زيد (نصر حامد): دوائر الخوف. قراءة في خطاب المرأة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000م.
- أبو غزالة (إلهام): الإبداع، اللغة، والمرأة، جامعة بيرزيت، بيرزيت، ط1، 1998م.
- الأختف (سعيد بن مسعدة): معاني القرآن، تحقيق: فائز فارس، ط2، 1981م.
- الأصمعي (عبد الملك بن قريب): ما اختلفت ألفاظه وانفقت معانيه، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986م.
- الأعرجي (نارك): صوت الأنثى، دار الأهالي، دمشق، ط1، 1997م.
- الأنباري (أبو البركات): البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1970م.

- ابن الأثيري (أبو بكر محمد بن القاسم): الزاهر في معاني كلام الناس، تحقيق: حاتم الضامن، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م.
- \_\_\_\_\_: المذكر والمؤنث، تحقيق: طارق الجنابي، مطبعة العاني، بغداد، 1978م.
- أنيس (إبراهيم): الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1979م.
- \_\_\_\_\_: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1992م.
- \_\_\_\_\_: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966م.
- الباقلائي (محمد بن الطيب): إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، 1954م.
- بشر (كمال): علم اللغة الاجتماعي، دار غريب، القاهرة، ط3، 1997م.
- البطلويوسي (ابن السيد): الحلل في إصلاح الخلل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد، بغداد، 1980م.
- \_\_\_\_\_: شرح المختار من لزوميات أبي العلاء، تحقيق: حامد عبد المجيد.
- البغدادي (عبد القادر بن عمر): خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1989م.

- البكري (عبد الله بن عبد العزيز): فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: إحسان عباس وعبد المجيد عابدين، دار الأمانة، ودار الفكر، بيروت، ط3، 1983م
- ابن التستري (سعيد بن إبراهيم): المنكر والمؤنت، تحقيق أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1983م.
- أبو تمام (حبيب بن أوس): ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبدة عزام، دار المعارف، القاهرة، 1964م.
- التوحيدي (أبو حيان): الإمتاع والمؤانسة، صححه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين، مكتبة الحياة، بيروت (د.ت).
- الثعالبي (أبو منصور): فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: مصطفى السقا وزملائه، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- الجاحظ (عمر بن بحر): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د.ت).
- \_\_\_\_\_: الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م.
- \_\_\_\_\_: رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.
- الجمحي (محمد بن سلام): طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1952م.
- ابن جني (أبو الفتح): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، 1990م.

- ابن جنى (أبو الفتح): سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954م.
- \_\_\_\_\_: اللمع في العربية، تحقيق: حسين محمد أحمد شرف، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1979م.
- الجوهري (إسماعيل بن محمد): الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1956م.
- ابن حزم (علي بن أحمد الأندلسي): رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1985.
- \_\_\_\_\_: طوق الحمامة، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، (د.ت.)
- حسان (تمام): مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986م.
- حسن (عباس): النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1976، 6.
- الحفني (عبد المنعم): الموسوعة النفسية والجنسية، مكتبة منبولي، القاهرة، ط1، 1992م.
- أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف): البحر المحيط، نشرته بالأوفست مطبعة النصر الحديثة، الرياض، 1970م.
- خرما (نايف): أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، ع9، الكويت، 1978م.
- خلف الله (محمد أحمد): الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1972م.

- الخولي (محمد علي): معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، بيروت، 1981م.
- ابن رشد (أبو محمد بن أحمد): تلخيص الخطابة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1960م.
- الرويني (ميجان)/سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط2، 2000م.
- الزبيدي (أبو بكر): الواضح في علم العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة، منشورات الجامعة الأردنية، (د.ت).
- الزبيدي (محمد مرتضى): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد السناار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1965م.
- الزجاج (إبراهيم بن العري): ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، ط1، 1971م.
- الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحق): الجمل في النحو، تحقيق علي الحمد، مكتبة الرسالة، بيروت، ط4، 1988م.
- الزمخشري (جار الله محمود بن عمر): المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1974م.
- \_\_\_\_\_: المفصل في علم العربية، راجعه: محمد عز الدين السعدي، دار إحياء العلوم، بيروت، ط1، 1990م.
- زهير بن أبي سلمى (ديوان): صنعة أبي العباس ثعلب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1944م.



- زيادة (مي): الأعمال الكاملة، جمع وتحقيق: سلمى الكزبري، مؤسسة نوفل، بيروت، ط1، 1982م.
- السجستاني (أبو حاتم سهل بن محمد): المذكر والمؤنث، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، حلب، ط1، 1997م.
- ابن السراج (أبو بكر): الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- السعداوي (نوال): الأنثى هي الأصل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974م.
- ابن السكيت (يعقوب بن اسحق): كتاب الألفاظ، تحقيق: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1998م.
- ابن سلمة (المفضل): مختصر المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب، دار الكتب، القاهرة، 1972م.
- ابن سيده (علي بن إسماعيل): المخصص، دار إحياء التراث، بيروت (د. ت).
- السيوطي (جلال الدين): الأشباه والنظائر، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م.
- \_\_\_\_\_: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه محمد جاد المولى وزملائه، دار الجيل، بيروت (د. ت).
- الشوكاني (محمد بن علي): الفرائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية، تحقيق عبد الرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت).

- الشوك (علي): جولة في أقاليم اللغة والأسطورة، دار المدى للثقافة، دمشق، ط1، 1994م.
- الشيبني (محمد بن علي): تمثال الأمثال، تحقيق أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط1، 1982م.
- الصيمري (عبد الله بن علي): التبصرة والتذكرة، تحقيق فتحي علم الدين، دار إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط1، 1982م.
- ابن طباطبا (محمد بن أحمد): عيار الشعر، تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط1، 1991م.
- الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان في أحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، 1984م.
- طرايشي (جورج): رمزية المرأة في الرواية العربية، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1985م.
- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد): العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1983م.
- عضيمة (محمد عبد الخالق): دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، (د.ت.).
- عفيفي (عبد الفتاح): علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986م.
- العلوي (هادي): فصول في المرأة، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ط1، 1996م.

- عميرة، (إسماعيل): ظاهرة التأنيث بين اللغة العربية واللغات السامية، مركز الكتاب العلمي، عمان، 1986م.
- عمر (أحمد مختار): اللغة واختلاف الجنسين، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1996م.
- عبد الله الغدّامي: تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1999م.
- \_\_\_\_\_: ثقافة الوهم، المركز الثقافي، الرباط، ط1، 1998م.
- \_\_\_\_\_: المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، الرباط، ط1، 1996م.
- الفراء (يحيى بن زياد): المنكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب، دار التراث، القاهرة، ط1، 1975م.
- الفراهيدي (الخليل بن أحمد): العين، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد (د.ت).
- الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1980م.
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): عيون الأخبار، شرحه يوسف طویل، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- القرطبي (محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1952م.

- القفطي (علي بن يوسف): إنباء الرواة على أنباء النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1981م.
- ابن كثير (أبو القداء الدمشقي): تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1966م.
- لظفي (مصطفى): اللغة في إطارها الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط1، 1976م.
- ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله): شرح عمدة الحافظ وعدة الالفاظ، تحقيق عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، 1977م.
- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد): المذكر والمؤنث، تحقيق: رمضان عبد التواب وصلاح الدين الهادي، دار الكتب، القاهرة، 1970م.
- \_\_\_\_\_: المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، القاهرة (د.ت).
- مجمع اللغة العربية (القاهرة): في أصول اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1969م.
- محمود (إبراهيم): الجنس في القرآن، رياض الريس للنشر، لندن، ط2، 1998م.
- المرزوقي (أحمد بن محمد): شرح ديوان الحماسة، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951م.
- مستغامي (أحلام): ذاكرة الجسد، دار الآداب، بيروت، ط1، 1999م.

- مسكويه، وأبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1951م.
- مصلوح (سعد): دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.
- ابن مكي (الصقلي): تنقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق عبد العزيز مطر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1966م.
- منا (يعقوب أوجين): الأصول الجلية في نحو اللغة الأرامية، منشورات مركز بابل، بيروت، 1975م.
- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، دار صادر، بيروت (د.ت).
- مهنا (عبد): معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.
- الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد): مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م.
- النفزاوي: الروض العاطر في نزهة الخاطر، تحقيق جمال جمعة، رياض الريس للنشر، لندن، 1990م.
- نهر (هادي): اللسانيات الاجتماعية عند العرب، دار الأمل، إربد، 1998.
- هرمز (صباح حنا): الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، 1987م.

- الهندي (ابن حسام الدين): كنز العمال، دار التراث، دمشق، 1976م.
- والفى (علي عبد الواحد): علم اللغة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1957م.
- \_\_\_\_\_: اللغة في المجتمع، دار نهضة مصر، القاهرة، ط3، 1971م.
- ابن وهب (أبو الحسن إسحق بن إبراهيم): البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، جامعة بغداد، ط1، 1967م.
- اليازجي (إبراهيم): نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، ضبطه نديم آل ناصر الدين، مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1985م.
- ابن يعيش (سوق الدين): شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ومكتبة المتنبى، القاهرة، (د. ت).

## الكتب المترجمة:

- أشار (بيار): سوسولوجية اللغة، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1996م.
- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.
- بريمو (ناتاليا بريمو): معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، 1981م.
- سلدن (رامان): النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة جابر عصفور، دار قباء، القاهرة، ط1، 1982م.
- سومور (فرديناند): علم اللغة العام، ترجمة يوثيل عزيز، بيت الموصل، ط2، 1988م.
- شوي (أورزولا): أصل الفروق بين الجنسين، ترجمة بوعلي ياسين، دار التنوير، بيروت، ط1، 1982م.
- غارمادي (جوليت): اللسان الاجتماعية، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الطليعة، بيروت، 1990م.
- غارودي: في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال مطرجي، دار الآداب، بيروت، 1982م.
- فليش (هنري): العربية الفصحى، ترجمة عبد الصبور شاهين، المكتبة الكاثوليكية، بيروت، ط1، 1966م.

- فنديس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950م.
- فوكو (ميشيل): نظام الخطاب، ترجمة محمد سبيلا، دار التنوير، بيروت، ط1، 1984.
- كاميبي: العشق الجنسي والمقدس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق، 1992م.
- كوندرا توف: أصوات وإشارات، ترجمة ادور يوجنا، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، 1969م.
- لوكمان (لويس): علم اجتماع اللغة، ترجمة أبو بكر باقادر، النادي الأدبي للثقافة، جدة، ط1، 1987م.
- لويس: اللغة في المجتمع، ترجمة تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1961م.
- مجموعة كتّاب: دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة ميشال عاصي، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1979م.
- مجموعة من المؤلفين: مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، ومالك المطلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993م.
- ميلر (سوزانا): سيكولوجية اللعب، ترجمة حسن عيسى، عالم المعرفة، الكويت، ع 120، 1987م.



- هـسون: علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، مراجعة نصر حامد أبو زيد ومحمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1990م.
- يسبرسن (أوتو): اللغة بين الفرد والجماعة، ترجمة عبد الرحمن محمد، مكتبة نهضة مصر (د. ت).
- بير (ألن): لغة الجسد، ترجمة سمير شيخاني، دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1986م.

## الدوريات والمجلات:

- أفاية (محمد نور): المرأة والكتابة، مجلة الوحدة، بيروت، ع9، 1985م.
- التميمي (أمل): المرأة في ظلال الأديان، مجلة تاكي، منشورات أمانة عمان الكبرى، ع6، 2001م.
- جبران (مي): الشخصية الأنثوية، مجلة مواقف، بيروت، ع73-74، 1994م.
- الخالد (كورنيليا): الكفاح النسوي حتى الآن، مجلة الطريق، بيروت، ع2، نيسان، 1996م.
- شريفة (صالح مهدي): العلاقة بين اللغة والمجتمع، مجلة المجمع العلمي العراقي، م25، 1974م.
- طعمة (طلال): علم اللغة الاجتماعي أم الأسنية؟، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، ع(7-8)، 1980م.
- قصاب (وليد): الأسلوب والموقف الاجتماعي، مجلة الفيصل -- الرياض، ع97، نيسان، 1985م.
- المنلا (إبراهيم): النسوية من منظور علم اللغة الاجتماعي، مجلة أفكار، عمان، ع149، 2001م.
- الموسى (تهام): نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، ع4، م1، 1985م.

- نور الدين (عصام): المحايد أو المذكر والمؤنث من غير الحيوان،  
مجلة دراسات عربية، بيروت، ع (7-8)، 1988م.
- صحيفة الرأي: عمان، 2001/7/21م

المراجع بغير العربية:

- **Abd -El - Jawad (Hassan):** Social Functions of Language Variation, Al - Abhath -American University of Beirut, Vol. XXXIV 1986.
- **Adler. (Max):** Sex Differences in Human Speech. Humburg, 1978.
- **Allergro (John):** The Sacred Mushroom and the Cross. Hodder Stoughton, 1970.
- **Bernard (Jessie):** The Female World. New York, 1981.
- **Bloomfeild:** Language. London, 1962.
- **Brekwege (Lia):** Hesitancy in Female and Male Speech, (Women's Language), U.S.A, 1987.
- **Brouwer and Dorian:** Women's Language Socialization and Self-image. Foris Publications. U.S.A, 1987.
- **Cameron (Deborah):** Feminist and Linguistic Theory, London, Macmillan, 1985.
- \_\_\_\_\_ (ed): The Feminist Critique of Language. London, 1998.
- **Coates (Jennifer):** Women, Men and Language. London, 1986.
- **Dumezil:** Grammaire Comparee. Paris, 1960.

- 
- **Fishman:** The Sociology of Language. New Bury House, 1972.
  - **Gesenius:** Hebrew Grammar. Translated by, A.E. Cowley). Oxford University, 1910.
  - **Gray (Louis):** An Introduction to Semitic Comparative Linguistics. Amsterdam, Philo Press, 1971.
  - **Lrigray (Luci):** Language Sexes and Gender (Women's Language), 1987.
  - **Miller (Gasey):** Words and Women, Anchor Press, New York, 1977.
  - **Mills (Jan):** Woman Words (A vocabulary of culture and patriarchal society). London, Virage Press, 1991.
  - **Moscatti:** An Introduction to the Comparative Grammar of Semitic Language. Weisbaden, 1964.
  - **Pride (J.B):** Sociolinguistic Aspects of Language Learning and Teaching. Oxford University Press, 1979.
  - **Rosald: (Michell, Zim-ballst):** Woman, Culture and Society. Standford University Press, 1974.
  - **Safilios (Roths (ed):** Sociology of Women. U.S.A, 1972.
  - **Sepeiser (E.A):** Studies in Semitic Formative. London, 1970.

- **Shehadeh (Ali):** Gender Differences and Second Language. Acquisition Research, Journal of Aleppo University, vol, 25, 1994.
- **Shibamoto (J.):** Japanese Women's Language. London, 1985.
- **Showlter (Elaine):** Toward – Feminist Poetics, 1981.
- **Smith (Philip):** Language, The Sexes and Society Basil, Black Well, 1984.
- **Spender (Dale):** Man Made Language. London, 1980.
- **Susan and Ruth King:** Gender – Based Language (The Feminist) U.S.A, 1998.
- **Thorne, Henley:** Language and Sex Differences and Dominarce (Women's Language), 1987.
- **Wardhaugh (Ronald):** An Introduction to Sociolinguistics, Blach well, Oxford, 1992.
- **W.Wright:** Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Language. Cambridge, 1890.
- \_\_\_\_\_: The Grammar of the Arabic Language. Cambridge University Press, 1896.